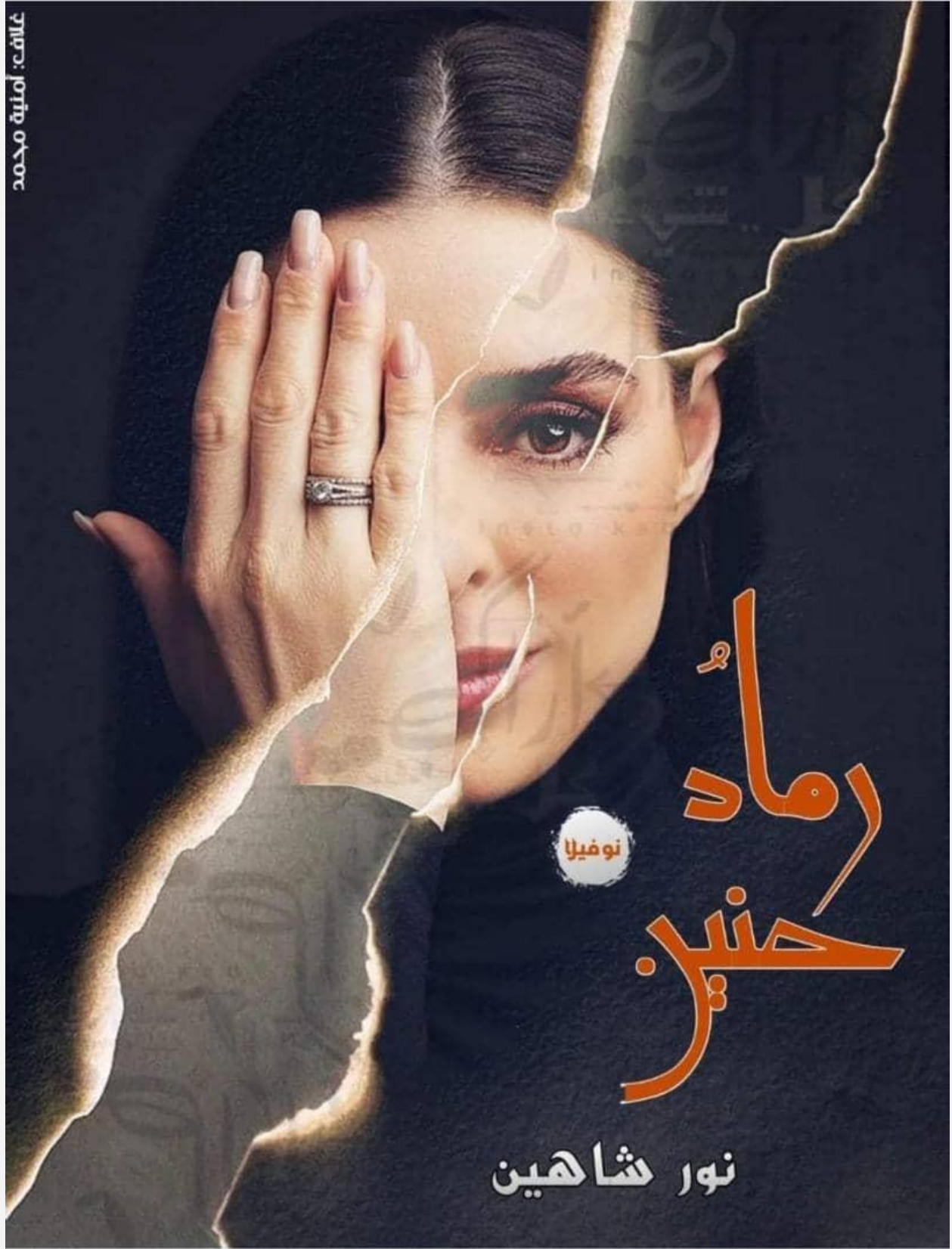


علاقت: اوتومب ۲۰۲۰



نوفیلا

راماد حظیر

نور شاهین

رمار حنين

يا لحظات الخلود ذاك الحنين موجع في صدري
عالمي كيف أوظف البقاء من جرف الماضي

نور شاهين

مقدمة

كيف لإنسان عاش عُمر بأكمله، بلحظاته وسنينه نسيان كل
تفاصيله ويبقى عالقاً هناك في دقات زمن مضى وانقضى
كذرات تراب منسيه تلوح لبعضها البعض في آهات عالم
مجهول، محبوك من عمق خيال كسراب يمسك بسراب،
كيف ينسى جميع الوجوه ويبقى وجهه هو الأبد الوحيد
كشمس تطل عليه بعد ليل طويل، يشق وجهه لوح ذاكرة
فرغت من كل شيء إلاه، سكن الفؤاد بجرحه وبحبها

استكانت ليوم لقاء كان الأمل عندها والرجاء، غيمة تطلق
صرخات النداء فيخرج من حزن السماء معانقاً خيالها،
ويبقى السؤال كيف متنا جميعنا داخل تلايبب عقلها وبقي هو
الأوحد الوحيد.

الفصل الأول

لازلت أحمل جثتي باحثة عن روحها لديه

نوبة جديدة من الضياع، رحلة بحث لا أحد يعلم أين تنتهي
وما هي عواقبها هذه المرة.
صباح مشرق تتخلله غيوم شتائية تتضارب ببعضها البعض
لتقطر بضع حبات من المطر تبلل وجهها الخمسيني وهي
تلتفت يميناً ويساراً ، تغافل ابنتها النائمة ، تغلق باب المنزل
وتخرج كعادتها دون هُدى أو وجهة محددة ، تنكب على
وجهها في طرقات المدينة الصاخبة، تبحث عما لا يعلمه
أحد، تسوح في شوارعها كطفلة أضاعت أبويها، تُطالع
الوجوه المارة بها، تُوقف العابرين من أمامها تسألهم ؟
هل رآه أحدكم ؟
هل مر من هذا الطريق ؟

هل تعرفون أين أجده؟

اسئلة متزاحمة، متراسة خلف بعضها البعض دون دليل
يجعل من تسأله يجيبها؛

ليجيب على تساؤلها بسؤال آخر ؟

يا خالة عمن تبحثين، هل لديك صورة او عنوان يساعدني
في إجابتك

تحلق عيناها كطائرين حائرين يناظران السماء، تقف الإجابة
و في حنجرتها كسد منيع يوقف تدفق الماء لمجراه، تغص
في الجواب ، تبحث داخل تلايبب عقلها عن جواب، لا شيء
هنا أو هناك، لا جواب لسؤاله ولا مرتجى لها في أن تجد
لنفسها جواب، تغادر وكان لا سؤال سؤال ولا جواب
مُنتظر، تُكمل طريقها بين الأزقة الضيقة والحدائق، سارت
لساعات لم تشعر بها سوى قدميها المنهكتين فجلست على
إحدى المقاعد المهملة في الكورنيش البحري تُطالع أمواج
البحر العاتية، هواء بارد يلفح حدودها المكتنزة كتفاح أحمر
نضج على أمه وحن فصل قطافه، ترفع كفيها لتدفئ وجهها،
تغمض عينيها فتراه كنورس يحلق في المدى، يمد جناحيه
لها تلتقط نفساً عميق، تمد يديها نحو الفراغ فارهة أصابعها
لتلتقط يديه وبغفلة منها تفتح عينيها لتلاقي الفضاء فارغاً

منه، فتنهمر الأمطار تشق جفنيها بلا هواده وبحرقة تعتصر
يسار صدرها تصرخ ملئ جوفها، صرخة تقتل حبال
صوتها قبل أن تقتل الضجيج حولها.
أين أنت؟ أين أنت يا غائبي، أقتلك الشوق كما قتلتني؛
تضم لصدرها حقيبة قماشية قديمة الصنع، باهتة الألوان،
تضمها كسماء تعانق السحاب، تُهمهم في بُكاء، أشتاقك يا كُل
كُلّي أين أنت؟

ترج يدها في جيب حقيبتها المُعلقة برقبتهَا معانقة الإبط
كشئ ثمين تخشى ضياعه، تُخرج جوال صغير يناسب حجم
كفها المنمنم الرقيق بأنامل مرهقة كورقة صفراء سقطت في
الخريف تتراقص مع النسيم، تضغط على ازرارهِ برقة لا
متناهية، كراقصة باليه تُدقن الرقص والطيران فوق الأرقام
والحروف، تدون تاريخ ما وتبدأ برسم الكلمات.
مضت ساعة وبعض من أخرى وهي منكبة بكل إحساسها
تُراقص سبابتها على تلك الأزرار، غارقة في عالمها،
مبتورة من واقع لا تبتغيه روحها، متناسبة الزمان والمكان
وكان لا أحد سواها يجلس هاهنا يعانق خيالها، يراقب
خطاها، يقف أمامها وهي لا تراه،

يتطاير فُستانها الطويل ليلمس كفها المنشغل في الكتابة
فيقطع سلسلة أفكارها ترفع عينيها لأعلى فتجد فتاة واقفة
أمامها وكأنها ترى صورة مافات من شبابها يتشكل أمام
ناظريها، تُعانق عيناها بعضهما البعض ويضج حديث
النفس في صمت، السيدة هذي أنا قبل ثلاثين عاماً مضو هذا
شعري العجري الطويل يلامس فخذي وهذي لوزتي عيني،
هذا فمي المحلى بالكرز وهذا قوامي الممشوق قبل أن تهده
السنين، هذي أنا بكل عنفوان الشباب، أين ذهب جسدي
ومتى أصبحت كهلة مشيبه الرأس، محنية الظهر
الفتاة في جوف قلبها ألف ألم وعذاب تسأل عيناها دون كلام
إلى متى يا أماه سأجرف الأرض بحثاً عنك، إلى متى سنبقى
نتحول فجأة إلى غرباء
تقطع السيدة هذيان تفكيرها صارخة في وجهها من أنت؟
والى ما تحديقين أمن عادتك مراقبة الغرباء.
وقبل أن تجيب الفتاة تشق السيدة الطريق
مسرعة، هاربة
تنظر الفتاة نحوها وهي تدق بالأرض بقدمها

بغضب واستياء؛ تنادياها؟
أُمي توقفي ارجوكِ لا تتعبيني أكثر
حنين توقفي

لكن السيدة لا تُجيب فهي لا تعي أن اسمها حنين ولا تذكر
أن لها ابنة بعمر الرياحين، تطلق العنان لقدميها وكأنها في
سن العشرين تجري بخطوات متباعدة تلاحق قدماها بعضها
بعضاً، تتكسر فوق الطريق عندما تسمعها تُناديها حنين
تنظر خلفها، تراها تلهث من تعب مطارقتها
فتقف في تحدي مطلق العنان للسانها، تسألها بصوت مرهق
كالتتهيد من أنتِ وماذا تريدني مني؟
بتلعثم وخوف واضح تُكمل رأيك عندما كُنتِ تقرأين ما
أكتبه، أنتِ تراقبيني فهل هو من أرسلك، هل تعرفينه، هل
رأيتَه

تقترب الفتاة منها تضمها لصدرها كطفلة صغيرة تضم دمية،
تهمس لها اهدئي يا حنين، ارجوكِ ليس مجدداً يا أُمي.
تنكمش حنين على بعضها تدس رأسها بين ذراعي ابنتها
وتهمهم بالبكاء من جديد وتسألها يا ترى أين هو؟
تشهق الفتاة بالبكاء وهي تربت على كتف أمها كأنما الدموع
هي اللغة الوحيدة التي تربط بينهما، كان هذا العناق عناق

أرواح تجهل بعضها، روح خرساء والأخرى صماء لا يلتقيا
سوى غرباء على قارعة الطريق فيجر الأسم الأبكم إلى
حيث لا يُرى ضعفهما،

تصحبها إلى المنزل وقد شارفت الشمس على المغيب، تمسح
التعب عن جبينها وهي تفتح الباب لتدخلها منه، تناظر حنين
المنزل وهي تخطو بخطوات متعبه، تتأمل ياسمينتها
الشامية، تمرر يدها على زهورها البيضاء تأخذ نفساً عميقاً
من ريحها وتلفتت نحو ابنتها قائلة:

أتعلمين بأنني اسميتك ياسمين لأجل هذه الزهرة البيضاء، لقد
اردتك صافية كلونها ، عبقة كرائحتها، رقيقة كأوراقها، ندية
معطاة مثلها،

ارتسمت على وجه ياسمين إبتسامة رقيقة وهي تجيبها بخفة
ظل

لقد أخبرتني بهذا آلاف المرات في كل مرة تتوهين فيها
وتعودي يدور بيننا هذا الحديث يا حنين

تبتسم حنين إبتسامة تشق شفثيها عنوة لتُجيبها هذا هذيان
العقل وضياع الروح لا أعلم إلى متى سأبقى انساكي وأعود
لأذكرك بسبب الياسمين

تنظر الفتاة نحوها بألم يعتصر قلبها وتردف بالكلام
جلُّ ما أخشاه يا أمي أن تنسيني وتكرين وجودي أخشى
يوماً لستُ ألقاكي به، يوماً أكون غريبة عنك كالיום مثلاً كم
خشيت ان أبقى ضائعة في ذاكرتك، لقد رأيت الغربة داخل
عيناكي لأول مرة هذا اليوم وكم أخشى أن أراها مجدداً.
تقترب حنين نحوها وقد ضمت بضع زهرات في كفها
لتضعهم برفق بين خصلات شعرها ، تُقبل جبينها، تحتضنها
بين ذراعيها وهي تهمس لها،
لا تخافي يا طفلي فأنتِ ذاكرتي وبادن الله لن أضيع عنكِ
ولن تضيعي مني.

غابت رأس ياسمين داخل أحضان أمها وهي تتمنى أن يكون
كلامها صحيح فهي في كل مرة تفقد ذاكرتها تنسى الجميع
إلاه.

تدخل حنين غرفتها بعد أن تناولت بضع لقيمات مما أعدته
ياسمين من طعام منهكة، مرهقة الشعور، تشق عيونها
جدران عزلتها الطويلة، رمت بنفسها على سريرها الحديدي
القديم، عانقت حقيبتها الصغيرة طويلاً طويلاً وبهمس يكاد لا
يُسمع تُحدثها؟

هاقد عدنا من جديد نحمل ذكرى جديدة وبضع كلمات أبثها
له عله يعود يوماً فيقرأ ما كتبت؛
تُخرج صندوق صغير موضوع أسفل سريرها، تسحب
سلسلة طويلة معلقة بعنقها ، سلسلة تحمل مفتاح صغير،
ليست قلادة ولا شي تتزين به، هي مجرد سلسلة تحمل
مفتاح صغير جداً تحفظه حول عنقها كأنه كنز من كنوزها،
تقترب من الصندوق دون أن تخلعها تفتحه وتخرج منه عدة
كراسات ملونة وأوراق مرتبة فوق بعضها البعض وقد
دونت أعلى كل ورقة منها تاريخ معين، حملت الأوراق
بكفيها الباردين رفعتها نحو وجهها أخذت نفساً عميقاً يملئ
صدرها، شهقت شهقة طفلة تهم بالبكاء وهي تشتم رائحة
أوراقها العبقة برائحته، تنسل يدها نحو الكراسيات تُقلبُ
بينها ليقع اختيارها على اللون الأزرق تأخذ ورقة منه و
تنتشل قلماً أسود اللون من الصندوق تدون أعلى الورقة
تاريخ اليوم؛

12/11/2022

تفتح رمز جوالها و تبدأ بنقل ما كتبتة عليه بداية برمز

أسمه... A

يا غائبي

ها أنا أتوه عن نفسي باحثة عنك، عن ذاتي التي اختفت
بإختفائك، عن شروق يشق غيوم الشتاء يطل به وجهك،
ذهبت إلى هناك حيث ذكرانا وذاكرتنا، عندما كنت أقف
ورأيت وجهك يغتصب سمائي، يخرج من برائنها معانقاً
مبسمي، نظرتك تتحرك ملوحاً لي بيدك لتثير انتباهي وأنا؟
أنا غارقة في بحر عينيك، أطيل النظر واطيله مشدوهة بك،
مغرمة بملامحك التي تحتل كياني احتلالاً ، أتأمل حركة
شفتيك، أغوص بين حروف لم أسمعها من ضجيج قلبي
وصخب مشاعري، تضحك فيتغير مسار الكون أمامي، أبدية
ملامح تلك الضحكة المستهترة يتردد صداها ويرتد داخل
صدري لأصبح كقبر ينتظر جثة يضمها، كقلب فارق نبضه
في غرفة الإنعاش، أه كم أحب النسيان بك، كم يحوم يومي
حولك كقطيع ذئب ينهش كل ذكرى دونك، لتبقى وحدك
عالمي، فلا تتعجب إن أتيتك منادية يا حبيبي أخبرني من أنا
دونك؟

يا غائبي

أفرش البلاد مراسيلاً لعل إحدى رسائلي تزفُ إليك خبراً،
فتأتيني بغدي الذي أحياه لك وإليك وبك رغم الغياب حاضراً
في مقلتي أبدي الوجود.؟

غرغرت دمعة في عينيها وهي تثني رسالتها الجديدة وتقبلها
بعمق وكأن ساعي البريد ينتظر أخذها فتهبها بعض القبل
لعل أثرها يصل إليه، لكن الصندوق وحده من يضم جرحها،
من يحفظ سرها فتحنوا عليه لتعيد إقفاله بإحكام، تعيده حيث
كان وتلقي برأسها فوق وسادتها تتوسد ألم الذكريات، تُحيي
ما مات منها في تلايبب عقلها وصورة محفوظة على
الجوال، تضمها لصدرها، كأنها حقيقة كاملة لا مجاز، تتكور
على نفسها كجنين في رحم أمه وتغط في نوم عميق، هاربة
من هلع الشروق، من رحلة بحث يائسة تزيد خيبتها خيبة.؟
خلف النافذة الصغيرة تُلصقُ ياسمين وجهها بزجاجه تراقبها
تتنهد بعمق، تريح يديها المتشبثين بأطراف النافذة، تعود
خطوة للوراء فقد اطمأن قلبها حين رأتها استسلمت للنوم .
مراقبة مجهدة تعتصر خلاياها فقد ساء وضع حنين كثيراً في
الآونة الأخيرة ولا بد من أن تجد حلاً سريعاً لمعاناتها معاً،

ياسمين ابنة الخامسة والعشرين ربيعاً وحيدة لأُمها التي لم تنجب سواها لكتفائها بها على حد قولها ولكن ياسمين لم تصدق كلامها يوماً فقد كانت ترى شغف والدتها بالأطفال وحبها الشديد لهم بينما كانت ترى عكس ذلك داخل عيني والدها الذي فارق الحياة منذ خمسة عشر عاماً، عاشت طفولة مليئة بالحب والإهتمام من أمها والكثير من القسوة من والدها النرجسي على حد قول حنين، بعد وفاته بدأت أسارير حنين تتفتح كزهرة اقحوان برية، شرسة تدك جذورها عنوة في أي مكان تطأه قدمها، إعالة نفسها وابنتها دون أن تحتاج لأي شخص، كانت رجلاً كامل الرجولة بتصرفاتها وأنثى لا تشوبها شائبة، ثلاثينية ساحرة، تسلب لب العقول بجمالها ورجاحة عقلها وقوتها، أنكرت على نفسها حق الزواج رغم تهافت الرجال لطلب يدها، أنكرت على نفسها جميع معالم الحياة وكرست حياتها لياسمين حتى أكملت دراستها الجامعية، كما استطاعت أن تدفع ثمن المنزل الذي تُقيم به و وضعته بِأسم ياسمين تاميناً على مستقبلها، كما أودعت مبلغاً لا بأس به في إحدى البنوك بحساب مشترك لهما، امرأة كحنين كانت تستحق أن تقف حياة ياسمين لأجلها رغم تفكيرها بالزواج وخوفها من لقب

عانس إلا أنها قررت رفض كل من يتقدم لخطبتها لحين
شفاء أمها التي لا تعرف ما حل بها منذ خمسة سنوات

مضت

شياً تجهله قلب حياة حنين رأساً على عقب وحولها لأمرأة
ضعيفة مهزوزة، شديدة النسيان وهي المعروفة بقوة الذاكرة
وشدة الإنتباه والتركيز فجأة وبدون مقدمات تصاب بإنهيار
عصبي مجهول الأسباب، تاريخ تُعاد ذكراه كل عام يدخلها
في غيبوبة اللاوعي، غارقة في دموعها، منطوية على نفسها
أكثر من أي وقت مضى، اليأس تملك ياسمين في معرفة ما
جرى و بأت جميع محاولاتها بالفشل والآن مع اقتراب ذلك
التاريخ المشؤوم لابد لياسمين من إيجاد حل لحالتها وإيقاف
مُعاناتها.؟

بعد تفكير طويل وتردد دام خمس سنوات قررت ياسمين
اصطحاب والدتها لطبيب نفسي.

الفصل الثاني

هل من الإنصاف أن نولد دفعة واحدة، ونموت مجزئين
رويداً رويداً.؟

تجلس حنين على كرسيها في فسحة الدار بجانب الياسمين
المندى، ملأت صدرها بعبق رائحته الممزوجة برائحة
القهوة، أرتشف فنجانها ببطء تملأه اللذة وهي تراقب ارتباك
ابنتها، تناظر ارتعاشة يديها ورجفة التردد على شفيتها،
أسندت الفنجان على ركبته لتقول لها بثقة ؟
هاتي ما عندك يا ياسمين بوحى بما يختلج صدرك .
نظرت ياسمين نحوها بارتباك واضح قائلة بتلعثم يتصنع
الوضوح؟

أخشى البوح فلا تتقبلي كلامي لكني مجبرة يا أماه فحالك
يسوء ومن واجبي أن أضع حداً لعذابك وعذابي من حقي أن
أخشى فقدك و فقدي داخلك لذلك قررت اصطحابك لطبيب
نفسي يساعداك على تخطي هذه المرحلة الخطرة التي تمرين
بها.

أطبق الصمت على شفاه حنين كمقصلة تطبق على عنق
محكوم بالإعدام، بكل هدوء أكملت قهوتها المرة كأيامها ،
أمسك كف بكف كأنها تُطمئن نفسها، همت بالوقوف وهي
تربت على كتف ياسمين تبثها خبر الموافقة على ما اقترحت
دون تفكير، وضعت ياسمين كفها فوق كف حنين المستريح

على أحد كتفيها لتهم الأخرى بسحبه متجهً نحو غرفتها
بهدوء تام، وقفت أمام مرآتها تتأمل وجهها المتجمد تُحدث
نفسها.

لكل جبروت نهاية حتمية ولكل ذو شأن دُنُو، أنا الشجرة
الباسقة أتى يوم تهزمني الريح فيه، تهز أركانى جذوري
وتقوُدني نحو الجنون، معذورة ياسمينتي فقد انهكتها وأنَّ لها
أن تستريح، ماكان ذنبي يا مُحبي إن كنت بَعْدك لا أعيش،
أقف في أنصاف الحياة لا رجوع ولا إكتمال، غدوت كسرب
حمام يبتر وجه السماء عالقاً بين دفتي غيمة يرجو الهبوط.

جلست على سريرها تنعي زمن ولاًَّ عهده بينما أتصلت
ياسمين بالطبيب وقامت بحجز موعداً معه، هو موعدها
الأخير الذي سيفصلها عن حياتها، ذكرياتها المنحوتة على
جدران منزلها، المزروعة في سجاياها وريح ياسمين.

ساعات مضت جهزت خلالها ياسمين حقيبة ملابس حنين
إضافة أدويتها التي اعتادت تناولها لتزيل آثار صداعها
المستديم وحبوب مهدئة تتناولها من حين لآخر لمساعدتها

في النوم؛ جهزت كل ما اعتقدت أن حنين ستحتاجه ونسيت روحها مكونة أسفل السرير.

تائهة عيون حنين نوبة فقد جديدة تعترني ذاكرتها تنسى ما حولها وكطفلة ضريرة تمسك بيد ابنتها لتصحبها إلى أحد المراكز الخاصة العلاج النفسي، حيث استقبلتهم ممرضة شابة قامت بمرافقتها إلى غرفة الطبيب

طرقت الباب عدة طرقات ودخلت لإخباره بقدم الزائرة الجديدة، وقف الطبيب وقد أمرها بإدخالها سريعاً. تقدم بضع خطوات وهو يرى ياسمين تمسك بيد أمها كأنها تخشى ضياعها، بينما تعلقت عيني حنين به، سارت نحوه بخطوات متلهفة هي تصرخ أنت هنا أخيراً عدت لي؟ ولم تكذ خطواتها تصل إليه حتى سقطت أرضاً مغشياً عليها، سارعت ياسمين والممرضة نحوها بهلع وخوف، بينما وقف الطبيب مشدوه، متسماً متغيباً عن نفسه، متناسياً أنه طبيب، صرخت به ياسمين ساعدني في إيقاظها، انتبه لَمْ حدث وهم بأبعادهما عنها، تحسس نبضها من المرفق وقام بحملها بين

ذراعيه، سارَ بها نحو الغرفة المجاورة لغرفته وضعها على
السريـر، ألتفت نحو ياسمين وأخبرها مطمئناً
لا تقلقي أنه مجرد هبوط بسيط للضغط وسنعلق لها محلول
ليعتدل لا تقلقي لحظات وتعود إلى وعيها، نظر نحو
المرضة التي فهمت مغزى نظراته فسارعت تعليق المحلول
لها ومراقبتها،

تركها ياسمين فاقدة لنفسها على سرير لم تعتده، ورافقت
الطبيب لمناقشة حالتها.

حديث استمر لبضع دقائق في شرح حالة الفقد الجزئي
لذاكرة حنين، حياة بأكملها سُرحت في بضع دقائق، أسلمت
ياسمين الأمانة للطبيب وغادرت بوابة المركز بعد أن
اطمأنت عليها، بينما الطبيب وقف يتأمل وجهها حاملاً بقلبه
جميع ماتكنه مشاعر الـهفة ؟
لم وكيف لا يعلم كل ما يشعر به بأن لب قلبه قد تحرك من
مكانه عندما التقت عيناه بها!

قاربت الشمس على المغيب بينما أشرقت عيني حنين تناظر
سقف الغرفة و تتلمس يدها بألم، ألتفتت حولها في هلع وقبل
أن تهم بالنهوض أدركت أنها في حضرة الهلاك، استسلمت
لمرقدتها متجمدة الكيان، تلوك ذاكرتها حديث ياسمين عن
الطبيب وتبصقه كلقمة كريهة المذاق، تجز عينيها هواء
النافذة الغربية، أدركت بأن الصقر أوقعه غراب من أعالي
السماء، فأغمضت الجفن مُسلمة روحها للبكاء، ليلة عصبية
تكاد لا تمر بسلام فكلما استكانت لنفسها دخل أحدهم ليطمئن
عليها، لتباشر في دس رأسها داخل الوسادة وافتعال النوم،
لكن إلى متى الهروب لمن اعتادت المواجهة إلى متى ستأجل
موعد اللقاء وقد خرقت الشمس ظهر الأرض ولا بد من
إختراق حصونها أجلاً أم عاجلاً .

دخل الدكتور أحمد غرفتها وهي لاتكاد تقوى على فتح
عينيها، قام بفتح الستائر وقال لها
لقد بلغت الشمس منتصف السماء ألا تريدين الاستيقاظ.
نظرت حنين نحوه وهي تخبئ نصف عينيها لتخفف من حدة
نور الشمس المسلطة عليهما واجابته بهدوء.

لم أهتم يوماً بالشروق ولا يعنيني مسار الشمس فهي بمثابة حكم بالإعدام يتكرر كل يوم.

حمل الطبيب كرسي موضوع في إحدى زوايا الغرفة و قام بوضعه بجانب سريرها، جلس وهو يتأمل عينيها المثقلتين بالكدر، وسألها متعجباً: أهذا يأس من الحياة أم رغبة في إنهاؤها؟

تعديل حنين جلستها لتقابله وتجيبه برصانة لم يتوقعها؟
لست ممن يدخل اليأس حياتها ولا أرغب في إنهاء ما بيد الله ملكوته لكني أرى بأن النهار لمن يسعى لا لمن ينتظر؟
الطبيب: إذا أنتِ تنتظرين

حنين: كُل منا ينتظر أمراً فإما أن يكون السعي ضروري لحصوله أو إنتظار حدوثه، فهناك الكثير من الأشياء لا تحدث سوى بالتمني والدعاء.

الطبيب: أختلف معك في هذا فالسعي من ضروريات الحياة وتحقيق الأحلام أما الانتظار فهو موت بطيء ويأس دون أمل

تتنهد حنين بعمق تنهيدة تكاد تشق لب صدرها شطرين وتكمل حديثها: صدقني ليس كل شيء يُسعى إليه فإن بعض السعي ذُل.

يبتسم الطبيب وهو يقرب كرسيه نحوها ويضع كفه فوق كف يدها المستندة على السرير ويكمل حديثه، أماه اتسمحين لي أن أقول لك أمي؟

تشرق البسمة من شفاها حامله بين طيات الكلام ألم لا يدركه إلا من قاساه وتردف بالحديث: أعتقد أنك تحاول التقرب مني لتحدد أي نوع من الأمراض النفسية أعاني ولكن

يحاول مقاطعة حديثها فتسحب يدها من تحت كفه لتضعها فوق كفه تُربت عليه وهي تخبره إلا يقاطعها واكملت حديثها، دخلت غرفتي أثناء نومي؟ اقتحمت خلوتي؟

دون أن تعرفني بك، تيقنت بأنك الطبيب المعالج لحالتي ولم أعترض وجودك لكن وجب عليك التعريف بنفسك أولاً وأنت لم تفعل؟

تناقشتني في صباحات مؤجلة عندي ولم أعترض والآن تريد أن تناديني بأمي وأنت بالكاد تعرفني؟

ألا تجد نفسك كطبيب نفسي متسرع بعض الشيء، اتعتقد بأن أسلوبك هذا سيجعلك تقتحم متاهات عقلي أم تظن بأني امرأة مجنونة غير متزنة حتى استجيب لك.

حالة من الحرج تصيب الطبيب وتجعله غير قادر على الرد
لكن حنين تربت على كفه قائلة: لم اقصد إحراجك في كلامي
بل أردتك أن تتمهل في استخلاص الكلام مني ولا تضعني
موضع لا استحقه فأنت بالكاد تعرفني.

أجابها الطبيب وقد أيقن بأنه أمام امرأة كاملة العقل منطقية
الحديث ولا شائبة تشوب ذكائها

دعيني أعرفك باسمي بداية وسأجيبك على تساؤلاتك جميعها
دفعة واحدة

أدعى الدكتور أحمد أحمد طبيب نفسي وقد اقامت هذا المركز
الصغير لمعالجة المرضى النفسيين الذين سحقتهم الحياة
وأثقلت أوزانها عليهم وأدرك تماماً بأنني أمام أناس عقلاء لا
مختلين ومن يأتي إلي يأتي بمحض إرادته لا مجبراً ولا
مكروهاً وأنا أترك لك القرار في البقاء أو الرحيل كما تركته
لغيرك.

أما عن طلبي بأن اناديكي أمي فهذا لأمر جهله فمذ رأيتك
البارحة وأنا أشعر بأن أمي عادت للحياة من جديد وليس
للتقرب منك، لقد رأيت فيك وجهاً ألفه وجه اعتدت أن أراه
لكن ذاكرتي خاننتني ولم أستطع تحديد المكان والزمان
ففكرت زجلاً بأنك تشبهين لحد كبير أمي.

حنين: رحمة الله وأدام شبابك ، أفضل أن تنادينني بإسمي
حتى ابنتي تنادينني حنين
وقف الطبيب يَهم بالمغادرة وقال لها: حنين إسم رائع معك
حق لا يجيب أن تكوني غير حنين لكِ هذا يا سيدتي،
سأتركك لتناول طعام الإفطار كما سأنتظر قرارك في العلاج
غرفتي بجانب غرفتك لو أردتي رؤيتي.
قال كلامه هذا وغادر دون أن ينتظر كلمة منها.
تكررت حنين على نفسها وقد غطت رأسها بملاءة السرير
وهممت ببكاء مكتوم، بينما دخل الدكتور أحمد غرفته
غارق في استرجاع كلامها، يحدث نفسه يالها من امرأة
صعبة متزنة لدرجة هزنتي بها فبدوت أنا المريض لا هي.

الفصل الثالث

نَسجتُ أيامي وسنيني معاً من ياسمين أبيض ،ضاع العبق
في غدٍ أمسى كفحم أسود!

غادرت حنين سريرها بعد أن أجهدتها البكاء واتجهت نحو
الخزانة المكونة على الحائط المقابل لسريرها فتحت بابها

وهمت بالبحث عن حقيبتها القماشية بين أغراضها التي
قررت ياسمين بأنها قد تحتاجها لكنها لم تجدها، بحثت
وأثارت فوضى عارمة داخل الخزانة لا حقيبة لا جوال لا
ذكريات تؤنس وحدثها، سلبتها ياسمين آخر أبواب السلام،
حبست أنفاسها بزجاجة ترتجي لنفسها منها نفسٌ جديد لتضع
نفسها بدروب الماضي الحاضر، اعتصرت رأسها بيديها
وكان الأرض قد حاصرتها بجناحين من نار، نوبة هلع
تجعلها تخرج من غرفتها تجوب ممرات المركز وهي تكاد
لا ترى سوى ظلال تتحرك أمامها، كل الوجوه غائبة في
حضرته، منسوف حاضرها بأكمله حين يستيقظ الماضي
السحيق، سؤالها المعتاد يتكرر ويرتد صداه عبر ممرات
المركز

أين هو؟

هل رأيتموه؟

بالله عليكم اخبروه بأنني جثة تأخر دفنها فاستباح الهواء
رائحتها.

يخرج الطبيب على صوتها وأصوات من في المركز ليجدها
جائئة على ركبتيها وجمع غفير من المقيمين يلتفون حولها
في محاولة منهم لفهم ما حل بها، يخترق الطبيب صفوفهم ،

يطلب منهم المغادرة وهو يحملها بين ذراعيه كتلة صغيرة لم تتجاوز الخمسين كيلو غرام كطفلة تعلقت برقبته خبات رأسها داخل صدره وهي تخبره بالألا يتخلى عنها، لا تتركني مجدداً أبقى معي كما أخبرتني للأبد وتشد بيديها على رقبته بينما هو يحتضنها مسلوب الإرادة يطمئننا بأنه هنا ولن يتركها، يتجه بها نحو غرفتها يضرب بابها بقدمه ويدخل مسرعاً ليضعها فوق سريرها وهي لا تزال تقبض على رقبته بذراعيها، يمسك بكلتا يديها ويفكهما عن عنقه ويهم بسؤالها ؟

مابك يا حنين لم هذه الجلبة كلها وعن تبحثين ؟
تنظر نحوه بدفء وكان إعصار اقتلع داخلها وهمد فجأة وتخبره، أتسألني عن أبحث وأنا التائهة عن نفسي فيك، اتسألني وأنا التي انتظرك كميت ينتظر الحياة!
أجم رد حنين الطبيب وتجمد لسانه داخل فمه كأنه ألتصق بقطعة جليد لا يقوى على تحريكه، تتعلق عينيه بوجهها، يتأمل ملامحها الخمسينية وسؤال يطرق أبواب عقله، يا ترى من تنتظر ولما رأتها بي ؟
لماذا أنا مشدود نحوها، منساق بعاطفة لم تمسني قط.

تُلفت السلسلة التي في رقبتها نظره فيبادر بسؤالها ما هذه
السلسلة

حنين تمسكها بكف يدها وتضم أصابعها عليها بقوة ، تجيبه :
سلسلة مجرد سلسلة لا أكثر

الطبيب: أرى بها مفتاح صغير

حنين: أجل إنه مفتاح

الطبيب: يبدو بأن خلفه سر ما

حنين: ترفع كف يدها وتضعه على خده قائلة إنه سر حياتي
الذي لم ولن يتطلع عليه أحد سواك فأنت فقط من له الحق
بذلك.

الطبيب و قد ارتبك من تصرف حنين وكلامها ، وما علاقتي
أنا

حنين: تتأمل وجهه طويلاً وقد أغرورقت عيناها بالدموع،
لوهلة ظننتك هو، تحمل نفس اسمه أحمد أحرف أرتلها
كالصلاة في كل وقت، ملامحك، عيناك، حتى نبرة صوتك
تشبه ذاك الصوت الذي أدمنت.

الطبيب: هل هو زوجك المتوفى رحمه الله

هبت حنين كعاصفة تقتلع هدوء الحديث، تصرخ بوجهه،
تطرده خارج غرفتها ، ينظر لها وقد اهتزت أركانها وهو

يرى نوبة الغضب التي بدلت ملامحها الملائكية لشيطان يحرق كل ماحوله، كربيع اندلعت نيران الصيف فيه فأردته رماد، تصرخ بوجهه وتدفعه نحو باب الغرفة وهي تنعت زوجها بأبشع الكلمات، بقي الطبيب واقفاً يتلقى ضرباتها المتكررة على صدره ينتظر ركود العاصفة الهوجاء. انتهت بسقوطها أرضاً اغماءة جديدة تفصل غضبها، عقلها، ذكرياتها عن عالم ترفضه روحها.

ماكان من الطبيب سوى حملها و وضعها في سريرها دون محاولة منه لإيقاظها أو إعطائها أي علاج مهدئ، تركها مسلوبة الوعي وسارع بالعودة إلى مكتبه ليتصل بابنتها ياسمين يطلب مقابلتها علي الفور، لم تتوانى في تلبية طلبته بعد أن اعترأها القلق وتسلسل الخوف لقلبها وبأقل من ساعة كانت تطرق باب مكتبه.

دخلت دون أن تنتظر رداً تعلوا وجهها علامات القلق والخوف وقف الطبيب فور رؤيتها ليبادر بتهديتها وطلب منها الجلوس،

ياسمين: هل أمي بخير؟

هل أصابها مكروه ما؟

الطبيب: إطمئني هي بخير كما أنها تغط في نوم عميق الآن

ياسمين: لماذا أردت مقابلي بهذه السرعة إذاً

الطبيب: أريد منك بعض الأجوبة التي قد تساعدني في علاج والدتك

ياسمين وقد علت ملامح الدهشة وجهها ؛ أجوبة على ماذا

الطبيب: أريد بعض المعلومات عن والدك رحمه الله

ياسمين: معلومات بخصوص أي شيء هل لك أن تحدد سؤالك؟

الطبيب: على سبيل المثال كيف كانت علاقته بوالدتك ؟

هل هو سبب صدمتها ؟

هل كانت تحبه وهل كان يحبها؟

ياسمين: وهل إجابتي ستساعدك في علاجها

الطبيب: أعتقد ذلك

ياسمين: خلال خمسة عشر عاماً لم تذكره أُمي، حتى في

ذكرى وفاته لم تذهب لزيارة قبره أو أحياء ذكراه كما لم تقم

أضحية ولم تُقدم زكاة عن روحه وأنني لمتعجبة من سؤالك
عنه ونحن من نسيناه.؟

الطبيب: لقد أُصيياسمين: لماذا أردت مقابلي بهذه السرعة
إذاً

الطبيب: أريد منك بعض الأجوبة التي قد تساعدني في علاج
والدتك

ياسمين وقد علت ملامح الدهشة وجهها ؛ أجوبة على ماذا
الطبيب: أريد بعض المعلومات عن والدك رحمه الله و
ياسمين: معلومات بخصوص أي شيء هل لك أن تحدد
سؤالك

الطبيب: على سبيل المثال كيف كانت علاقته بوالدتك ؟
هل هو سبب صدمتها ؟

هل كانت تحبه أو هل كان يحبها؟

ياسمين: وهل اجابتي ستساعدك في علاجها

الطبيب: اعتقد ذلك

ياسمين: خلال خمسة عشر عاماً لم تذكره أمي، حتى في
ذكرى وفاته لم تكن تذهب لزيارة قبره أو أحياء ذكراه كما لم
تقم بالتضحية أو الزكاة عن روحه وأنني لمتعجبة من سؤالك
عنه ونحن من نسيناه.؟

الطبيب: لقد أصيبت حنين بنوبة هلع وانهيار عصبي بمجرد ذكره وهذا ما يجعلني أشك بعلاقته في حالتها هذه.

تقف ياسمين متُهفة إنهيار عصبي جديد هل هي بخير ماذا حدث لها وما سبب انهيارها

الطبيب: لا تقلقي هي بخير الآن لكني لست واثق من هذا عند استيقاظها

ياسمين: ماذا تقصد قول لي ما حدث بالتفصيل؟

سرد لها الطبيب ما حدث منذ رأى والدتها منهاراً في الممر حتى قام بالاتصال بها.

كانت تسمع منه تفاصيل قد حفظتها عن ظهر قلب باستثناء

ذكر والدها فلم تعد ذكره أو حتى الإيحاء لها بأنه كان

موجوداً في يوم من الأيام اختفى كل أثر لوجوده منذ توفي

ولم يبقى يربطها به سوى هي الأبنة الموبوءة بدمه على حد

قول حنين، قالت له:

موبوءة بدمه هذا كل ما أذكره عنه فلم تكن أُمي تتحدث عنه

إطلاقاً وحين تجرأت وسألتها إن كانت تحبني اجابتي بأنها

ماتت حية لأجلي أنا الموبوءة بدمه، أتعلم أنا لا أعرف ما

قصده حين ذاك ولم أحاول الإستفسار منها.

الطبيب: كلام صعب وشعوره أصعب لكن لم قالت هذا وهي التي ضحت بحياتها لأجلك.

ياسمين: لقد كان أبي سيء الطباع

عرفت سوء طبعه رغم محاولاتها المستميتة لإخفاء الأمر عني، توفي وأنا في العاشرة من عمري وكل ما أذكره عنه شدته في التعامل وقسوته الغير مبررة بالنسبة لطفلة لا أذكر يوماً قام به بمعانقتي أو إحضار شيئاً لي، حتى تفوقي في دراستي لم يكثر له يوماً، كان جامد الملامح والشعور، متيبس الإحساس والحس؟

قبل موته بسنة كان يعود إلى المنزل لساعات قليلة ساعات لا أذكر منها سوى صوت بكائها المكتوم داخل غرفتهما ورجائها له بالرحيل، عودته كانت بمثابة موت جديد لها، فمجرد دخوله من الباب كانت تقوم بحبسي داخل غرفتي وإقفال الباب على ولا تُخرجني منها إلا بمغادرته.

الطبيب: وهل تعرفين ما كان يحدث بينهما

ياسمين: وكيف لطفلة أن تفهم ما يحدث، كنت اعتقد بأنها تمنعني من رؤيته حتى بدأت أرى آثار الضرب على جسدها

و وجهها الذي كانت تجاهد في إخفاء آثار الصفعات عنه لكنها لم تنجح في إخفاء التورم والتصبغات التي بدأت تتزايد في كل مرة يعود بها.

الطبيب: هل تعرفين سبب ضربه لها

ياسمين: لا لا أعلم شيئاً عن الأمر
الطبيب: حسنا هناك أمر أخير أود سؤالك عنه
ياسمين: تفضل أسأل ماشئت

الطبيب: ما سر المفتاح الذي تحمله برقبته
ياسمين: هو مفتاح لصندوق قديم تحتفظ به أسفل سريرها
ولم تنزع قلادته من عنقها البته
الطبيب: ماذا يوجد بداخله حتى تحتفظ بمفتاحه حول عنقها
ياسمين: كنت أراها تخرج منه أوراق ملونة تقوم بالكتابة
عليها وإعادتها داخله من جديد.

الطبيب: مذكرات

ياسمين: لا أعلم حاولت فتحه ومعرفة ما تكتبه لكنني فشلت
في ذلك حتى أني صورته وقفله لإحضار قفل مماثل

فاكتشفت بأن هذا القفل مصنوع يدوياً ولا يمكن معرفة كيف
يفتح أو يصنع ما لم يكون المفتاح أو صورته بحذوتي

الطبيب: غريب

ياسمين: معك حق أنا أيضاً أتعجب من تحفظها الشديد على
بضعة أوراق

الطبيب: ربما هي مجرد أوراق بالنسبة لنا أما لها فقد تكون
حياة؟

ياسمين: أرى أنك بدأت تضع الأمور في سارها ا

الطبيب: أشكرك على هذه المعلومات وأعتذر على

احضارك بهذا الشكل المفاجئ.

ياسمين: أنا من علي شكرك وأتمنى ألا تتوانى في طلبي بأي

وقت تحتاج وأرجو أن تصل معها لما عجزت من الوصول

إليه

الطبيب: بإذن الله سأستطيع، فعلى ما يبدو حنين تُشبهني

لشخص ما وهذا الأمر سيفيدني في التقرب منها ومساعدتها،

هناك أمراً سأخبرك به حال تأكدي منه وأتمنى أن يكون

ظني بغير مكانه.

ياسمين: أخبرني ما الأمر علي أساعدك به

الطبيب: لا لا تستطيعين فالأمر معقد بعض الشيء ويحتاج لوقت طويل، لا تشغلي بالك الآن وازهبي لتطمئني عليها لو وجدتها نائمة انتظريها حتى تستيقظ لعلها تسعد برؤيتك

ياسمين: هذا ما سأفعله

غادرت حنين مكتب الدكتور أحمد متجهة لغرفة حنين ؛ بينما جلس الطبيب يفكر بحنين وما عاشته مع زوجها من قسوة بدأ يرسم عشرات السيناريوهات في مخيلته عله يكتشف سبب قولها موبوءة بدمه لياسمين، أي قسوة وكره حملته بقبلها له حتى تتفوه بهذه الكلمات، وما هو سر ذلك الصندوق هل يحتوي ذكرياتها معه أم أنها تخفي سر ما وتخشى افترضه، راح في خياله إلى أبعد من حقيقة قد تخفيها امرأة كحنين في طيات صدرها، تخيل شذوذ لا تحمله و عهر لا يمكن لمثيلاتها التشبه له، لكنه رجل في النهاية وجميع الرجال يشكون حين يحيط الغموض بإمرأة مهما بلغت عفتها وكبر سنها فهي في نظرهم محط شك، ناقصة عقل ودين.!

جلست ياسمين مُحاذاة سريرها تراقب رفة جفניהا المتوترين
وهي نائمة ، هل رأيتم توتر النيام في حياتكم؟
هل جربتم أن تراقبوا من ينام وصدرة مطبق على أنفاسه
وكل نفس يخرج يستغيث ليدخل آخر؟
أرجوا ألا تكونوا قد رأيتم هذا الكم الهائل من العذاب، فذروة
الألم للمتألم تأتي في النوم لا الإستيقاظ، جميع خلاياها تتجه
نحو ما لحق بها من أذى فلا تذرف دمعة واحدة تفض بها
ألمها إلا وهي نائمة بين وجعين أحلاهما مُر،

تنساب دمعة من بين جفניהا المرتعشين وتحط على خدها
كحبة لؤلؤ نادرة الوجود شفافة، براقّة ، ينعكس عليها ضوء
الإنارة ليشير بأن كنز قد سقط على خدها وحن وقت رسم
خريطة جديدة لإخفاء أثاره، تقترب ياسمين منها، تمسك يدها
وقد فتحت الأخرى عينيها لنصفها تتأمل سقف الغرفة
الغريبة، وقبل أن تدرك وجود ابنتها بجوارها تبادرها
ياسمين بالسؤال؟

هل أنتِ بخير

تسارع حنين في مسح الدموع عن عينيها لتجيبها وهي تعدل
جسدها

أنا بخير ، متى أتيتِ إلى هنا ولماذا

ياسمين: منذ برهة يا أمي اتيت لأطمئن اعرف بأنك غاضبة
مني ولكن لم أفعل ما فعلته إلا خوفاً وقلقاً عليك
تجاهلت حنين كلامها وسألتها بصرامة

أين حقيبتى و جوالى لماذا لم تضعيهم ضمن الأغراض التي
تعتقدين بأننى قد احتاجها
ياسمين: أليست معك ألم تكونى تحميلها كعادتك، أنها المرة
الأولى التي تغادرني بها البيت دون اصطحابها معك وكأنها
هي ابنتك لا أنا

شعرت حنين للمرة الأولى بغيره ياسمين من حقيبتها
فضحكت ملئ فاهها وسألتها
هل تغارين من حقيبتى المهترئة هل ما رأيته في عيونك للتو
غيره من حقيبة؟

تستمر بالضحك وياسمين تُطالِعها بحب وشوق لضحكة
نسيت شكلها منذ أعوام فلم تشأ إنتزاع هذه الضحكة الرنانة
منها وإجابتها بفتح طفولي
نعم أغار من حقيبتك ومن أي شيء تهتمين به دوني
توقف صوت الضحكة لبرهة قصيرة علقت خلالها عيناها
ببعضها البعض لتلعوا بعدها ضحكتها معاً ، ضحكة تعبت
في شق طريقها لتلك الشفاه المتبيسة.

ياسمين: ما أحلى وجهك وأنتِ تضحكين، شفاهك الباسمة
كشعاع شمس يشق الغيوم الممطرة .

حنين: تبالغين في وصفك لكن أعجبنى ما تقولين فمنذ زمن
طويل لم تُطرب أذني بكلام جميل كهذا

اقتربت ياسمين منها، عانقتها وهمست لها ، الغزل وجميع
كلام الشعر والجمال لم يكن إلا ليصف جزء من جمال قلبك .
غرقت حنين كمركب ورقي في محيط ذراعي ابنتها، وهي
تطلب منها إلا تنسى إحضار حقيبتها القماشية، ربتت ياسمين
على كتفها لتسألها ؟

ألا تريدان صندوقك أيضاً ألم تشتاقي لأوراقك الملونة؟
فرت حنين من بين ذراعيها وقد علا الفرع وجهها.
كيف علمتي بأمر الصندوق وما يحويه هل تتجسسين علي
هل قمتِ بفتحه؟

ياسمين: لا تقلقي يا أماء فأنا لم افتحه أو أمسه لكني رأيتك
وأنتِ تضعين به بضعة أوراق وتخفيه أسفل السرير. طج
أطمئن قلبها لما سمعته فألقت رأسها على وسادتها وهي
تخبرها بأن تتعجل إحضارهم!

الفصل الرابع

نداءً عاقرٌ لا مُجيب له، كصوت يغفو على أوتار نسيان،
تطفوا ملامحه مع كل مدّ وعند الجزر يخبوا في حنايا
الأمس!

كان الدكتور أحمد يراقب حالة حنين ومزاجها المتقلب عن
كثب فحيناً يجلس بمقربة منها في حديقة المركز يُطالع
ملامح وجهها الحالمة وحيناً يفتح معها حديث بعيداً كل البعد
عن حياتها الشخصية، جذبه حديثها المنفتح في جميع

المجالات وعجز عن الخروج رابحاً في أي موضوع
يطرحه للنقاش، تفاجئ بإمامها في جميع مجالات الحياة
واطلاعها الشديد خاصة في الأمور الفلسفية البحتة فلم يكن
حديثها سطحي ومتكرر بل كان غامض و عليه البحث بين
الكلمات ليفهم ماترمي إليه، كل حديث ينتهي معها يربطه
بحديث آخر ليستمر نقاشه معها أطول وقت ممكن؛
تتالت الأيام ومضى شهران على مكوثها في المركز لم تبني
خلالها أي صداقة مع المقيمين معها ولم تتفوه ببنت شفة مع
أحدهم بل صبت جُل اهتمامها بأحمد، نعم لم تعد تدعوه
بالطبيب ورفعت التكلفة فيما بينهما كما رفعها هو فتحولت
علاقة الطبيب بمريضته إلى صداقة كلفته تفكير وصبر
طويل لينال ثقتها وودها، كما أن وضعها استقر نوعاً ما
ومنذ اسبوعين لم تعاني من حالة الضياع والنسيان التي
كانت تصيبها، وبعد ما وصل إليه حالها قرر أحمد أخذ دوره
كطبيب وصديق معاً ليبدأ بكشف الستار عن ماضيها فتحسن
حالتها لم يخمد نار الفضول بصدرة، أراد بكل ما فيه إخراج
مابداخلها فهو الآن واثق كل الثقة بأن امرأة مثلها لا تهزها
سوى عاصفة أشبه بتسونامي تطيح بكل ما حولها لتستطيع
هزها لهذه الدرجة،

أربعة جدران تضمها وعزلتها طويلة الأمد تجلس على
سريرها كعادتها وبعد أسابيع من هجرها صندوق ذكرياتها
وحقيبتها المحببة لقلبها ها هي تبعثر الأوراق حولها كشجرة
تعرت من أوراقها تحاول لم شمل خريفها بربيع بدأ يزهر
في سجايها، يدخل الطبيب فيرى أوراق ملونة تحيط
بجسدها من كل حد وصوب، لم تقنط ولم يمتلكها الرعب
كعادتها بل استبشرت بدخوله ودعته للجلوس بعد أن اعتذر
وحاول تمثيل الخروج، كانت دعوتها بمثابة الإفراج عن
ألف سؤال محبوس داخل تلافيف عقله، الآن بإمكانه
الإطلاع على سرها الخفي.

جلس على كرسي بمقربة من سريرها مبادراً بالسؤال؟
ماكل هذه الأوراق ولم تبعثرينها بهذا الشكل
حنين: هذا ما يحتويه صندوقي القديم؟ هذا ما حاولت اقتحامه
مراراً وتكراراً أنت وياسمين
لكنكم فشلتن؟

توقف الكلام داخل حنجرتة وتدفق الدم نحو رأسه ليحمر
وجهه فجأة ويختنق بنفس يحاول جره عنوة لصدره، دخل
بنوبة سعال طويلة كأن شوكة علق داخل حلقه فأغلقت

صدره وسرقت الهواء منه، سارعت حنين في إحضار الماء له وضربته عدة ضربات على ظهره ليستوي نفسه ويبتل صدره فيقف متعذراً محاولاً الهروب من مآزقه هذا، لكن لا فكاك له من برائتها فقد علق في شر أعماله وبدأت المواجهة حنين: الآن تستأذن بالمغادرة وتهم بالهروب وكأنك لم تسعى قط لمعرفة ما أخفيه، هل من شيمك الهروب أم تخشى مواجهتي؟

الطبيب بتلعثم وخجل واضح على محياه: أنا أهرب خجلاً مما فعلته ولن أنكر ما اتهمتني به فهو حقيقي لكن لي عذري واسبابي

حنين: لوهلة نسيت أنك طبيب تقربت مني واخرجتني من عُزلتي، رَسَمْتُ لك صورة جميلة بل كانت جميلة حتى سمعتكُ تتحدث مع ياسمين وتُخبرها بأنك استطعت أخذ صورة لمفتاح الصندوق لا بل ونجحت في أخذ طبعة له على الصلصال أثناء دخولي في متاهة الذاكرة، كنت تتفاخر

بأنك اجتزت المرحلة الأصعب في استغلال مريضة لديك،
أو ليست هذه أسرار المهنة ؟
يُطأطأ الطبيب رأسه خجلاً دون أن ينطق بحرف واحد، كأن
الكلمات قد احترقت في جوفه المشتعل فأبت الخروج لتزيد
إحتراق قلبه حسرة على صداقة تنساب من بين أنامله ولا
يقوى على ضمها لتبقى.

ترفع حنين رأسه بيدها مكملة ما بدأت من حديث: إنسى
أسرار المهنة أيها الطبيب وقل لي هل هذه هي الصداقة التي
بنيتها معي أهكذا يُعامل الصديق صديقه لن ألومك فأنت
رأيتني مجرد مريضة وأنا رأيتك صديق وكُل منا تصرف
وفق ما رآه وبإمكانك إكمال مهمتك أما بالنسبة لي فقد
غيرت نظرتي وسأبدأ معك الآن في أولاً دروب العلاج.
أنا مريضة؟

ينظر لها الطبيب بإستغراب دون أن ينطق لتكمل حديثها
أول طريقه للعلاج هو الإعتراف بالمرض وأنا الآن أعترف
لك بمرضي هيا قم بما عليك فعله وساعدني على الشفاء.

الطبيب: إسمعيني ولا تحكمني علي فأنا لم أقصد الاساءة لك

حنين: أعتقد أنني اجتزت المرحلة الأولى بنجاح والآن فلنبدأ
بالمرحلة الثانية وهي الماضي؛
برأيك أي شق من الماضي سيساعدني في تخطي المرض
بسرعة أكبر

الطبيب: حنين أرجوكِ اسمعيني ولا تعامليني بجفاء.

حنين: أعتقد زجلاً بأن ما كتبتة سيساعدك على فهمي
وبالتالي ستساعدني في تخطي أزمتي هذه

الطبيب: حنين أنتِ لستِ مريضة وأنا لن أقوم بدور الطبيب
إن كنتِ ستحدثين معي بهذا الأسلوب و سأعذر عن بقاءك
داخل المركز.

حنين: طبيب و صديق متخاذل

أنا لستُ متخاذل لكن يؤلمني حديثك معي بهذا الشكل

حنين : إن لم تكن متخاذل إبدأ بترتيب اوراقى حسب التاريخ
المدون أعلى كل ورقة

الطبيب: اسمعيني اولاً ؟

حنين: منذ خمسة عشر يوماً أحاول سماعك، انتظرت
إعترافك بما فعلته وياسمين لقد لمحت لك عدة مرات انى
سمعتكما، لكنك لم تهتم ولم تتكلم أما الآن عليك الإنصات
لمريضتك وإتمام علاجها.

الطبيب: سأسمعك كصديق لا كطبيب إن اردتِ هذا.

حنين: لم تعد تهمني الصفة فجميع من عرفتهم كنت بالنسبة
العنصر المستمع، الصدر المفتوح لجروحهم لحين شفائها، لم
أكن يوماً ممن يرغبون بالكلام و توزيع أحداث حياتهم على
شفاه الناس، أنا العنصر الصامت الذي لا يحمل ضجيج ولا
يرتد صوته في الفراغ

الطبيب: عنيدة كعادتك وحديثك قاسي ملغوم باللفظ،
تضعيني بدائرة الشك فأضيع باحثا بين السطور
حنين: هذي أوراقى أمامك فإن شئت إقرأها وإن أردت خذها
فهي لم تعد تعينى ، أوراق زائفة اللون ، باهتة المعنى لا
تليق بمحياه
جلس الطبيب على حافة السرير، أخذ ورقة حمراء اللون
وبدأ يقرأها بصوت مسموع ،

اليوم هو الثاني والعشرين من أغسطس
يا غائبي A...

كلما اعدنى الحنين إليك، تمتد يدي عنوة نحو صدري
لتنزع قلباً نبضَ لك يوماً، أقف على حافة الذكريات،
أرتشف مُر ذكرانا، المقهى خالٍ في غير موسمه، دون
قهوتنا وصوت فيروز الصباح، خالٍ دوننا دون ذاك اللقاء،
كشاطئٍ ينحسر موجه، مدُّ بلا جذر مقاعدنا، شوق غريق
بصحراء،

كل الأماكن دوننا خاوية و الصباحات دون عينيك سواد،
حتى السماء عقيمة في غير مواسم اللقاء، أراك تنساب من

بين أضلعي تُحلق بعيداً فاره الجناح، عام مضى على ذاك
الرحيل الكئيب، سقطت الحروف من شفاهي لتقتل ما بيننا،
غريب فصديق ثم حبيب وذكرى تَورق مُهجتي حَوالتني
لكيان مُغترَب في ذاته يبحث عنك فيتوارى حولك الوجود
كُدخان سجائر يعلو وجهك فلا ألمسه

كيف رحلت وقلبت الموازين ، أضعتني واضعتك أعترف،
فتحتَ بنفسك أبواب الجحيم، علقت رُوحِي في طرقات
الحنين، ملعون هذا التاريخ، موشوم لساني بعار الصمت
المُهين، هَدَّتْ ما بنينا منذ سنين يا صديقي، يا حبيبي عُد بي
لزمَن قَطَعَتْ فيه الوتين، عُد وتجاهل كلامي ولنبقى كما
كنا صديقين فالحب فرق شملنا فلا بقي الحب حياً ولا الحبيب
عاد صديق، مبتورة أرواحنا بنصلين لا يقطعاً ولا يجمعاً!

نظر أحمد نحو حنين بعد أن أنهى قراءتها ليجدها غارقة في
نفسها متجمدة الملامح والشعور وضع يده على كتفها
وسألها؟

حبيب أم صديق

حنين: عندما تعشق المرأة رجلاً فأعلم بأنه كل الرجال.
الطبيب: ماذا حدث له

حنين: لا أدري

هل خلا بكِ ورحل

حنين: كم تفكيركم سطحي أنتم الرجال وظنونكم سوداء
كقلوبكم

الطبيب: أصابعك لا تساوي بعضها فلا تجمعي في كلامك
ودعي للاستثناء مكان.

حنين: في الظنون جميعكم متساوون إلا من رحم أبي

الطبيب: هل زوجك رحمه الله كان سئ الظن
صمتت حنين طويلاً ، تحاول جمع أوراقها كأنها لم تسمع
سؤاله أبداً فيكرره ثانيه

أجابته دعك من هذه الأوراق إذا واسمعي جيداً

عندما تجلدك الحياة مراراً وتكراراً ولا تدع لك فرصة
لالتقاط أنفاسك، ستجد نفسك تتحول الى كتلة صخرية دون
مشاعر أو ملامح لكن للأسف هذا لم يحدث معي إطلاقاً ففي
كل مرة كانت تجلدني كُنت أزيدُ ليناً وغرانا، ثم أقف بعد
كل سقوط لأمسح آثار الصفعات كأن شيئاً لم يكن، قاومت
الحياة، وقفت على عنقها كلما حاولت خنقني، هذا ما تعلمته
مذ تركت وحيدة أسفل جسر مهجور في ذاك الفجر الممطر،
تركني دون أن يلتفت وغادر

كُنْتُ حينها في التاسعة من عمري لا أفقه من الحياة شيئاً ولا
أعرف منها سوى حُزن أُمِّي وأبِي، كان حُزنهما روضة
خضراء وعُش دافئ رغم برودة الغرفة التي نقطنها، كان
خبزها شهى الرائحة، طيب المذاق رغم قساوته، لم أشعر
بغربة في وجودهما، لكنهما ببساطة تخلوا عني تحت جسر
عتيق، في طريق هروبهم خارج البلاد شعرا بأني حمل زائد
فرموا بي لتستمر حياتهما، هكذا بدأت طفولتي أيها الطبيب
غريبة في وطني، يتيمة وابوي أحياء، حين رأيته يغادر
مسرعاً لم أتلفظ بحرف، لم أبكي حينها ولم اصرخ راجيه
إياه ألا يتركني، وقفت بصمت أراقب ظله وهو يختفي وقلبي
يعانق الحقيبة التي تركها معلقة كحبل مشنقة حول عنقي،
أعانقها فاستشعر دفئ أمي وأسمع صوته منبها إياكي أن
تتركي الحقيبة

الطبيب ماذا حدث بعدها

حينئذ حينها مات صوتي كما مات الخوف بداخلي، جلست
أنتظر بزوغ الفجر الذي لم يزورني منذ ذلك الوقت ،
خرجت للعالم وحيدة غريبة لا أملك سوى حقيبة قماشية
تحوي رسالة اعتذار منهم وإثبات هويتي ، ترك لي شهادة

ميلاد موثقة بإسمه وإسم أمي ، خافا علي من لقب لقيطة أو ابنة زنا ولم يخافا من تركي في ظل الحرب القائمة أن ذاك الطبيب: حرب هل تخلوا عنك أثناء الحرب
حنين: أنها حرب الثمانينات لا أذكر تفاصيلها ولكن أذكر الأطفال الذين كانوا معي في ذلك المكان القذر كل منهم تحدث عن طريقة وصوله الى هنا إلا أنا خجلت أن أقول بأن ابوي على قيد الحياة ولم يموتا كما حصل مع البقية كنت أخشى الإعراف بأنهم تخلوا عني ولم يتركوا لي سوى حقيبة قماشية تحوي زجاجة عطر وورقتين اثنتين الطبيب أين ذهبت وما هو المكان الذي ذهبتى إليه
حنين لا أعلم أين يقع المكان تحديداً فقد وجدت نفسي به بعد أن فقدت الوعي وأنا أسير في شارع السفر الطويل، لا منازل لا محال، طريق خالي من السكان ولا يمر به سوى السيارات المهاجرة هكذا حَلَّت الأمور حينها، ثم ادركتها تماماً فقد رُميت ببساطة على طريق السفر وعندما استيقظت وجدت نفسي داخل مخيم صحراوي لمرتزقة الحرب، جميعنا أطفال أكبر الموجودين كان يبلغ الثالثة عشر من عمره وأصغرهم بعمر السبع سنوات

الطبيب: من كان المسؤول عنكم وما غايته
حنين: في البداية كان يأخذنا ويجمع التبرعات مدعياً أننا
أطفاله ثم بدأ يُعلمنا كيف نقف عند أبواب الجوامع نستعطف
الناس ليرموا لنا بضع قروش، كُنَّا نُقيم في خيمة تحت حماية
بابا عبدو، نتسول لأجله وهو يوهمنا بأن ما يفعله لتأمين
الزاد و الحماية لنا وكي نقتنع بهذا الوهم علمنا القراءة
والكتابة دون أن نحتاج لدخول المدرسة
الطبيب: هل كان طيباً في معاملته معكم
حنين: لقد كان هيناً مع من يعمل بجد ويحضر له النقود
وقاسياً مع المتقاعسين، لم يهتم سوى بحشي جيبه و بطنه
المنتفخة كإمرأة توشك على الولادة، لم يبخل على نفسه
وابنه المدلل في الطعام والشراب بينما كان يرمي لنا فتات
الخبز ، كان يبتلع الطعام كخنزير بري وعندما يشبع يدفع
ببقايا الطعام للاطفال فينهالوا عليه كرضيع فُطم عن ثدي
أمه حديثاً ؟

الطبيب: يالا قسوة وجشع البشر ، إنها لمن الدناءة إستخدام
الأطفال بهذا الشكل

حنين: الدناءة الحقيقة لم تكن من بابا عبدو بل كانت من ابنه
الذي أصبح زوجاً لي فيما بعد

الطبيب: زوجك! هل تزوجتي بإبنة
حنين: للأسف نعم وليتني قتلته قبل أن أفعل هذا ، لقد قتلت
نفسي آلاف المرات ولم أقوى على قتله مرة واحدة ، كم
تمنيت غرس سكين في صدره ، كم حلمت بتمزيق أحشائه
لكني لم أقوى على ذلك ، كل ما فعلته هو الصمت
الطبيب: يالا هذا الحقد

حنين: حقد وماذا تعرف أنت عن الحقد ، لا تتكلم عن شيء لم
تعشه ولا تعرف قسوة مابه
الطبيب: اكلمي أود أن أعرف كيف تزوجتیه ولماذا تكنين
كل هذا الكره له

حنين ألا ترى بأن الحديث قد طال
الطبيب: أعتذر لقد اتعبتك اتودين أخذ قسطاً من الراحة
ونكمل فيما بعد

حنين' أعرف بأن الفضول يقتلك لكني تعبتُ فعلاً فهل لك أن
تساعدني في وضع أوراقى داخل الصندوق
الطبيب: بكل سرور لكن لدي طلب صغير ، اعتبريه طلب
من صديق لصديق

حنين: لك ما تريد إن كان بمقدوري
الطبيب: أريد أخذ أوراقك هذه وقرائنها وحيداً

حنين: قلت لك بأنها لم تعد تعنيني خذ ما شئت منها أو كلها
الطبيب: هي تعنيك وتعنيني أعدك سأحافظ عليها به
و سأعيدها بإذن الله عندما أنتهي من قرائتها.

حنين: هي لك لكن لا أريد لياسمين قرائتها
الطبيب: هي سرنا الصغير ولن يعلم بأمر محتواها سوانا
ثقي بي

تُمنى حنين برأسها موافقة على ما قاله ليهم بأخذها تاركاً
الصندوق مهملاً على السرير ، يغلق الباب خلفه بينما تُلقي
هي برأسها على الوسادة تسترجع صور قديمة تعبت في
محاولة نسيانها؟

شريط حياتها يمر أمام عينيها كأنه لم يمضي بآلمه ،
بجروحه التي أدمت كيانها وسرقت منها أكثر ما تمننت، تمد
يدها تحت الوسادة تتلمس جوالها، تخرجه من مكانه؛
إشتقت إليك تحدثه بهمس الألم وقد فتحت الشاشة على
صورته الوحيدة ، تُمرر سُبابتها بلطف على الشاشة
الصغيرة كأنها تلمس وجهه، ككل لياليها الماضية تحتضن
صورة وجهه وتغفو على أمل لقاء، على قيد شوق يتقد في
قلبها ،تغفوا بأحلام لم ولن تعيشها.

في الغرفة المجاورة لها يجلس الطبيب أحمد وقد رتب
أوراقها فوق بعضها البعض ، تفوح رائحة عطرية منها
فيأخذ نفساً عميقاً ويحدث نفسه متعجباً ؟
هذه الرائحة مألوفة لدي أنا أعرفها جيداً؟
تُداعب الرائحة ذاكرته فيعود أعواماً إلى الوراء، كاتا يقفان
أمام مرآة غرفتهما الكبيرة كان يرش العطر عليها و يدور
كطفل صغير لينثر العطر حولها لتبتسم له إبتسامة قل ما
يراهها، نعم هي ذات الرائحة التي أحباها ، بل هي من نفس
الزجاجة التي صُفِع بسببها للمرة الأولى منه حين قام
بكسرها من غير قصد، إني امقت هذه الرائحة، امقت كل ما
أثار غضبهما مني حينها هذا ما قاله وهو يرفع الأوراق نحو
أنفه ليشتم عبقه أكثر، ليروي شوقه الدفين لهما، آه ما أحلى
رائحتكما، آه ما أحلاكما قالها بألم يعتصر أضلاعه وهو يأخذ
الورقة الأولى ويبدأ بقراءتها.

اليوم هو التاسع من شهر مايو
لن أذكر السنة فكل يوم في غيابك سنة
يا غائبي A

مازلتُ ضعيفة في وصفِ ذاك الشعور بداخلي ورصفِ
كلمات الغرام على أرصفة عشقي، لاتزال الروح تضخ ما
يعجز اللسان عن نطقه وبوح اختلاجات تيه؛

أقف عاجزة كعادتي في شارع الهيام بجانب مبنى تحتضنك
إحدى غرفه دوني، أناظر شرفتك المهملة وملايسك الملقاة
على الحبال، لبيت الرياح تاتيني بذاك القميص المعبق
بِعطرك،

بل لييتني أراك تطل منها، أرى ظلك يتحرك عبر الزجاج،
أراك تلهث لرؤيتي كما كُنت قبل أن تغادر هذي البلاد
وتتركني اجوب بشوقي بين شارعك و مقهانا وحدائق نقشنا
على أشجارها اسماءنا كمر اهقين قطفنا زهورها، ركضنا
بين شقائق النعمان ، تأرجحنا كطفلين معاً قبل أن تغادر
هذي البلاد.

يا غائبي

الشوق يَعرِني وما من ندى يخرجُ من مُقلتي ولا دمع
يتفرق في كفي ، جفت جميع أوردتي، ذبلت عطوري وما
أتيت
هل لي بقلب آخر يحملني، يغيث قلبي، يكون له عكاز يسنده
ليصل إليك،

رفيقاً يحدثه بجل حبك وجبروت صبره على شوق يكاد يشق
الشوق ليخرج منه شوق جديد، هل لي بذراعين آخرين
ذراعي لن تقوى على عنائك وفض هذا الحنين،

هل لي بساقين تقفان في حضرتك بثبات فساقِي أمامك
تهتزتان، ترتعشان وكأن شوقك الأرض فأخشى أن تُدنسها
قدماي، هل لي بروح تهبك الروح فوق روعي فتطمئن
وتعود من حيث أنت ، هل لي بكلك فليس لي من بعدك إلاك
يا غائبي

لازلت أجهل تفسير المشاعر ورسومها كلمات فعد لي لتعود
القافية ويستقيم نبض الحوار

يضم الرسالة بين كفيه وعيناه ترسمان خوف الكلمات، يرتب
المفردات المبعثرة في وجه تلك السيدة، أي عشق هذا وأي
شوق تصفه، إنه لا يقوى على رسم خيال مماثل لعشقها، يأخذ
ورقة أخرى يتجاهل التاريخ ويبدأ رحلة حنين جديدة .

يا غائبي ...إليك

إلى ذلك المرسوم فوق هضاب جدراني، إلى خطوط يديك
التي تشبهني كثيراً، إلى صديق غريب عني وأسكن وجدانه،
أعترف أنني أحاول تجاهل ذلك إذا مر من خلالي، حتى
ظلي يحاول الهروب من خيالك من صوتك من انعكاس
ضوءك في قلبي، من تفاصيلك الصغيرة سوداويتك، عمقك،
سطحيتك البريئة و سذاجتك التافهة؟

أهرب من صورنا و حقيقتنا الكاملة التي أحببنا عبثيتها،
تقواها وكفرها، صوابها وجنونها؟
الغريب يا صديقي أنني مريضة بالبقاء، بالوفاء وأنت بكامل
وجودك مريض بالرحيل؟

لازلت رغم البعد والجفاء أمد يدي نحو الظلال، انتشل منها
ذكرى آخر لقاء وأول سلام وكل الأحاديث التي دارت بيننا،

أمشي على درج السنين، الشهور ، الأيام والساعات ألتقط
منها صدى صوتك وضحكتك الجوفاء أمشي خلالهم كإص
يتفادي ألم اللحظات، فارمي بتقلي كاملاً في كفيك فأبدو
خفيفة وكأن كفيك تسحب ثقل الأيام العجاف اتعطيني الفرح
بسواء، أخف الخطى باحثة عن أثر قدميك، أطوف حولها
برقصتي المعهودة، برقصتنا الأخيرة على المنطق الذي
خلقناه للبقاء؟

واليوم تراخت قبضتا يدينا فلا أثر لك هنا ولا هناك لي أثر،
اختفت وجوهنا خلف شلالات الخيبة وكان النهار ظلاماً
وكذبة سوداء نخشى تصديقها ورغم ذلك أعترف أنني
اغمض عيني في هذا السواد لأرى نورك المنبثق خلف
تلال الجليد الأسود؟

أعترف بخوفي من علمك بكل خيبة مررت بها وكل خطيئة
وقعت فيها فأنت الوحيد الذي تعرفني حق المعرفة وأنت فقط
من تعكس صورتي بوضوح لا يعرفه سواك، والآن أراك
تكسر وعدك بالبقاء، أصبحت مثلهم موبوء بالرحيل ممزوج
بالخطيئة، كم تمنيت أن تبقى فوق الخيال، ممتلئ بالفضيلة،
كامل الصدق والوفاء ولم تكن أبداً كالفراغ لا تملئ نفسك،
ضيق فراغك يا صديقي ممتلئ بالجدران وهممة هلوسة

تخرج منك بأنك عرفتنى وجعلتنى أتعلم الكلام، سُحقاً
لصمتك الذي أخرجني من صمتي ودعاني للصراخ.
يا صديقي أنا لا أجد البقاء على قيد الحياة ولا أجد الموت
شوقاً ولكنني أنتظر خروجك من فرط جنوني، من خلف
نوافذ ظنوني لتُشعل الأضواء حولي، فأنا أخاف الظلام،
أخاف عالماً لست به ولا أخشى السقوط العميق السحيق في
راحتيك فكل ما احتاجه هو السقوط بهما!

رسالة مفعمة بالغموض أصدق هو أم حبيب فاق حبها له
الحب حروف تهز كيانه، يستشعر غموض الشعور وفقره
للمسة فقدت نفسها بين شطين تاهها في بحر سحيق عميق
على حد تعبيرها، حنين أي حب يحمل قلبك وأي شوق
تدفن بين شطري صدرك ، ليأتي كنت في قلب إحداهن
بنصف ما تكنين له بقلبك بل ليأتي كنت أنا من تعشقين،
أمنية مجنونة أدرك ذلك وكنني رجل ككل الرجال أحلم بحب
جارق حارق كحبك له، رغم فارق السن أشتهي أن تصفني
بنصف وصفه، أشتهي حب امرأة كحبك.
يحدث أوراها أم يحدث أنانية الرجل التي بداخله، هو ككل
الرجال يتمنى أن يحظى بما لا يستطيع امتلاكه؟

قرأ حتى غرق في بحر مشاعرها تضربه أمواج عشقها
المتناقضة بين حب وكره، ملامة وعتاب بين تمسك
واستسلام، أشرقت الشمس وشمس حنين غائبة عن كونها
فالماضي عصف بذاكرتها مجدداً وهمت على أكفها تبحث
عنه من جديد، تثور على المقيمين، تبحث عن باب الخروج
تفتش عن مهرب لها يأخذها لموعد قديم أستيقظ في خلايا
ذاكرتها فجهزت نفسها كطفلة في ليلة العيد وهاهي تصرخ
بوجه الحارس عند باب المركز ليفتح لها الباب
طرقت الممرضة باب غرفة الطبيب ودخلت مسرعة
ليصحوا من غفوته فوق الأوراق
يهب واقفاً صارخاً بوجهها
هل جُننتي كيف تدخلين غرفتي بهذا الشكل
تجيبه الممرضة وهي تلتقط أنفاسها، حنين إنها حنين يا
دكتور

الطبيب بفرع: ما بها حنين ماذا جرى لها
لم ينتظر جوابها وسارع في الركض نحو غرفتها بينما
الممرضة خلفه تخبره بأنها عند باب المركز تحاول
الخروج و عجزوا عن تهدئتها، يكمل سيره متعجلاً في
الوصول إليها وقبل أن يدرك مكانها يقف متسماً، مصدوماً

بمظهرها، فهو لم يراها ابدا كما يراها الآن بكامل أناقتها
وأنوحتها شعرها شلالات تتدفق على كتفيها، شفاها حمراء
كحبة فراولة تزين سمرة وجهها، تلتفت بقوامها العشريني
وهي ترتدي فستان أحمر اللون لا يدري هل الفستان يزين
جسدها أم العكس، تنظر نحوه وقد تجمدت في مكانها تنظر
لعينيه فقط، تلتصق عيناه بعينيها السوداوين فيحل الصمت
ولا يبقى سوى ضجيج عينيها يرمي قنابله فينسف أي كلام
يقال،؛

تتقدم نحوه بخطوات مترددة، ليقطع صوتها الصمت الطويل
أنت لم تذهب لموعدا كما اتفقنا ليل أمس
الطبيب متعجبا: أي موعد وأي إتفاق تقصدين
نسي لوهلة حالة النسيان التي تمتلكها فجأة

يحاول العودة بذاكرته لليلة أمس، أي موعد تتحدث عنه، هو
لا يذكر بأنه قد واعدتها، ينفذ عن وجهه علامات النوم،
يقترب نحوها ممسكا بيدها لياخذها بعيداً عن عيون
الفضوليين المكتظون حولها، تضغط بكفها على أصابعه
كأنها تخشى أن يُفقد يدها، تسير معه متجاهلة الجميع كأنها
لا ترى إياه ،

يجلسان على إحدى المقاعد في الحديقة الخلفية للمركز،
مُرتبك لا يدري من يبدأ حديثه وكيف يبدأه، يتأمل جنون
جمالها بصمت، بينما تطالعه عيناها بنظرات لم يرى مثيلاً
لها، تقطع ارتباك تفكيره قائلة
إشتقت إليك يأكل كلي، قد طال غيابك هذه المرة، خمس
سنوات دون إتصال أو حتى رسالة تطمئنني عليك بها، حتى
حسابك في الفيس بوك حذفته، حذفته وجودك و
وجودي، ألغيت جميع دروب اللقاء

يُجيبها بكلمات تخشى الخروج من بين شفثيه، أعتذر عن كل
ما مضى وكل ما ألحقته بك من أذى، أعتذر يا حنين الروح
فهل تقبلين اعتذاري
حنين: مضى وقت طويل ألا تزال تذكر حنين الروح، أتذكر
آخر مرة ناديتني بهذا الإسم
ينظر إليها والدهشة تملأ مُحياءه، الإسم خرج منه دون تفكير
فهل حبيبها كان يناديها بهذا الإسم، سؤال بداخله ينتظر
جوابها فهو ليس من تعتقده، ليس من يرسمه خيالها فكيف له
أن يذكر شيئاً لم يعيشه.

تقطع تفكيره قائلة: لم تخونك ذاكرتك يوماً كما لم تخوني
فجميع تفاصيلنا محفورة هنا داخل قلبينا في ثنايا روح فرقها
جسدين.

يتلعثم (أحمد) في الكلام فلا جواب مؤكداً يبثه لها ليريح ما
يختلج داخل عقلها لكن لا بد من جواب، يحك رأسه مبتسماً،
يجيبها مخمناً الزمن؟

لقد كان قبل خمس سنوات حين ودعت
تضحك وقد علق الحزن في شفاه ضحكة خاب رجائها
نعم منذ خمس سنين حين غادرتني دون وداع، لا ألومك فقد
فاض الإنتظار كأس الصبر، أنا من قلبت الموازين، أنا من
أرخت يدها منذ خمسة عشر عاماً لم اعطك فرصة البقاء
كما لم أعطي نفسي حق الحياة، كل ما أردته حين مات أن
أكمل مهمتي في تعليم ياسمين وتربيتها لم أرد لها حياة تشبه
حياتي كما أنني لم أتخيل أن أكون دخيلة في حياتك، لم أشاء
تدمير زواجك، كيف أرضى لزوجتك وابنك ما لا أرضاه
لأبنتي قل لي كيف.

الطبيب: حنين

لم أعد حنين التي عرفت مذ غادرتني وأنا مجرد ركام، رماد
حنين وشوق، أطبقت جميع معالم الحياة على صدري

فأزهقت روعي، لبيتك سمعتني، بل لبيتك انتظرت قليلاً ولم
تفارقني، لبيتك بقيت ذاك الصديق الذي وعدتني بأنك ستكونه
مدى الحياة، وعدتني بأنك ستبقى معي للأبد لم أدرك بأن
الأبد قريب جداً، الأبد لديك كان غداً وكان لي حياة بعد
موت.

تنهمر دمعة من عيونهما معاً، كأن الغيوم قد أمطرت على
وجهيهما، ألم الفقد يعتصر وجدانها وألم التمني يختلج في
جنبات صدره، لبيته هو ذاك الصديق، لبيته وليته أمنية تخترق
قلبه بسهام نار تشتعل دون انطفاء.

حديث يطول لذاكرة تائهة لا ترى إياه، لا تفكر بسواه،
جميعهم منفيون كأنهم لم يكونوا وهو فقط، هو من تعيش
لأجله ذكرى مؤبدة الوجود.

الفصل الخامس

ويبقى النبضُ واقفاً في دقيقة صمتٍ طويلة
دفعَ ثمنها قلباً بأكمله.

يقف الطبيب عاجزاً أمام كلماتها، يرى الرعشة المتارجحة
في جفنيها، يتساءل؟

هل ستقع ضحية اغماء جديدة أم تراها تعود لرشدها، سؤال
أوقف ضخ الدم في عروقه لدقائق ينتظر مفاجأة جديدة،
يستعد داخلياً لمواجهة ما ستؤول إليه حالها، بينما هي تمطره
ببسمة تروي ظمأ صحرائه، تنطق متعجبة متى أشرقت
الشمس وكيف وصلت إلى هنا؟
يجيبها وقد تنفس الصعداء، الشمس تشرق يا حنين الروح
حين تضحكين.

تبتسم قائلة حنين الروح، هل قلت حنين الروح حقاً
الطبيب أجل قلت هذا ألا يعجبك الاسم
حنين: يبدو أنني تهت من جديد واستطعت استغلال هذا جيداً
للمرة الثانية

الطبيب: أجل لقد نسينا مجدداً لكني لم استغلك كما تعتقدين
حنين: ما تقوله غير صحيح فلم يناديني أحدهم بحنين الروح
إلا هو

الطبيب: هذا ما أود معرفته تحديداً منك، أريد سماعه لا
تخمينه فهل لك أن تكلمي حديث الأمس.

حنين: بالأمس تحدثت عن طفولتي، وقليلاً عن زوجي
الطبيب: وأنا قرأت عشقك الدفين، فهل لي بمعرفة المزيد
حنين: أشعر بالجوع

الطبيب: لقد نسيت أمر الطعام كما أنني لم أغسل وجهي بعد ، فالندخل إلى المركز لأغسل وجهي ونتناول طعام الإفطار سوياً

أنهت إفطارها الذي لم يتعدى البضع لقيمات كعادتها وغادرت غرفته بعد أن أخبرته بأنها تنتظره بغرفتها. لم يستطع إكمال إفطاره وسارع في ترتيب أوراقها المبعثرة على مكتبه، لقد نسيها تماماً لكن نظراتها نحوها جعلته خجلاً من نفسه إذ خلف بوعده بإخفائها، أخذها جميعها ودخل غرفتها بادئاً بالإعتذار.

آسف لقد غلبني النوم وأنا أقرأها استيقظت فزعا على صوت الممرضة تخبرني بحالتك.

حنين: لا بأس ضعها داخل الصندوق واعدة لمكانه لو سمحت ولنكمل ما بدأناه أمس يحدثها وهو ينفذ ما طلبته، إني سعيد برغبتك في الكلام فقد كنت أخشى أن أكون أضغط عليك

حنين: أنت الشخص الثاني الذي يخرجني من صمتي بإرادتي ، من استمتع وانا أخبره بتفاصيلي دون خوف أو خجل

الطبيب: هل من تحبين هو الشخص الأول

حنين: أحمد اسمه أحمد كأسمك، كلامحك وصوتك أراك
فأظن أن الزمن عاد بي سنوات للوراء
الطبيب: هل يشبهني للحد الذي تصفين
حنين: بل أكثر مما أصف، تطابق حروف الإسم هي تماماً
كتطابق الصفات إلا أنه يزيدك عمراً وهيبة.
صفيه لي، تكلمي عنه أكثر أود معرفة كل ما يتعلق بشيبي
هذا؟

حنين: أنت شبيهه لاهو ، نسخة مصغرة، زائفة لا تمت له
بصلة.

الطبيب: اتقولين هذا بعد أن ذكرتي ما ذكرته من صفات
مشتركة بيننا؟

حنين: مجرد تشابه بمحض الصدفة، لكنك لست هو
حسنا يا سيدتي الحسنا اكلمي روايتك فلا تعليق لدي على
كلامك المحمل بالشوك و الشوق
تجيبه مبتسمة، شوك وشوق أتعرف انتما كهاتين الكلمتين
تختلفان بحرف واحد ومعنى كبير، أتعلم أنت اختصرت
حياتي بكاملها في كلمتين اثنتين
الطبيب مستفسراً؟ لم افهم قصدك

حنين: أنك تفتقر لسرعة البديهة عكسه تماماً، الشوك هو ما عشته من معاناة أدمت قلبي وجلجت كياني بأكمله أما الشوق فهو ما عشته بين سطورها أحلم بما سلب مني من مهدي حتى يومي هذا،

الطبيب: ألا يوجد سعادة بين الشوك والشوق، ألم تفرحي بقدم ياسمين مثلاً

حنين: ياسمين هي قصمت ظهري هي من أدخلت الخوف لقلبي هي فقط من وهبتها حياتي بطيب خاطر ولم تسلبها عنوة كما فعل البقية؟

الطبيب: أود لو تكلمي القصة حيث توقفتي بالأمس فلا أرغب في تجميع الأحداث وإدخالها مطحنة عقلي.

حنين: انت تسأل فأجيبك يا كسول التفكير ؟
تبتسم وتكمل روايتها لحياة فقدت معناها.

أخذني بابا عبدو في عمر التسع سنوات، عشت تحت رعايته عملت كما البقية في السنة الأولى لكني تمردت بعدها لم استطع الوقوف على الأرصفة واستعطاف المارين، لم تعجبني كسرة النفس والمذلة فبدأت بالبحث عن عمل؟ كان الأمر أشبه بمن يضرب الماء فتبقى ماء، لا أحد يجيب طلبي لا أحد يرغب في تشغيل طفلة في العاشرة من عمرها لكني

لم استسلم بقيت شهوراً أبحث عن عمل وأعاقب من بابا
عبدو لعدم كسبي المال فكان يحرمني من الطعام أو ما يسمى
طعام، حبسني مرات عدة في غرفة مظلمة وحيدة لا أسمع
همساً ولا أرى ضوءاً ورغم ذلك استمررت في عنادي
وجعلت إرادتي فوق إرادته، أول عمل لي كان في مصنع
للأحذية، عمل بسيط ولا يحتاج إلى خبرة بدأت بوضع رباط
الأحذية و ترتيبها في علب مخصصة للتصدير وانتهيت منه
وأنا أجيد العمل على ماكينة الخياطة و اللصق وغيره، ثلاث
سنوات قضيتها به رغم تدمره على المرءود القليل الذي لا
يكفي ثمن طعامي على حد قوله، تركت العمل أثر تعرضي
لحادث مروري أثناء توجهي للعمل، كسر ساعدي الأيمن
وقدمي اليسرى كما تعرضت لأرتجاج دماغي فبقيت تحت
المراقبة الطبية إثنان وأربعون ساعة قام بابا عبدو في
اصطحابي من المستشفى بعد أن اطمئن علي، لكن الجبس
الموضوع على ساعدي وقدمي جعلاني عاطلة عن العمل،
أجلس وحيدة حتى عودتهم جميعاً ومن هنا بدأت حكاية
زواجي

الطبيب لكنك كنتِ طفلة هل تزوجتي بهذا العمر الصغير

حنين: كنت قد بلغت الرابعة عشر من عمري وبدأت زهور
الأنوثة تتفتح لدي لكنني لم أتزوج، بقائي وحيدة لوقت طويل
كان يجعلني أنام كثيراً نهاراً فيجافيني النوم ليلاً وهنا بدأت
أرى ما يفعله سالم ابن بابا عبدو؟

الطبيب: ماذا كان يفعل؟

حنين: تفاجئت به يأتي ليلاً يستلقي بين الصبية النائمين ثم
يأخذ أحدهم ويختفيا بعض الوقت، تكرر الأمر عدة مرات
فقررت مراقبته ومعرفة ما يفعله وليتني لم أفعل

الطبيب: ماذا كان يفعل

حنين: لقد كان يأخذهم وهو يضع مسدساً في خاصرة
ضحيته ثم يقوم بفعلته الشنعاء ويصور الطفل عارياً بشكل
مهين جداً حتى يتسنى له تكرار فعلته الدنيئة

الطبيب: يتحرش بهم؟

هل تحرش بك؟

حنين: ليس تحرشاً بل اغتصاباً، لقد كان شاذاً وهذا ما
جعلني والفتيات بمأمن منه ولكن موت بابا عبدو المفاجئ
غير الكثير في حياتنا

الطبيب: لا أدري ما الذي جعلكم تتحملون هذه الحياة ولماذا
بقيتم كل هذا الوقت تحت رحمته.

حنين: كل منا كان يجد حياته هناك ويعتبر بأن هذه هي أسرته التي فقدتها فلم يفكر أحدنا بالهرب أو الاعتراض كان الجميع مُنصاع تماماً لبابا عبدو، هو من احتوانا في طفولتنا وحمانا من التشرد كما عَلّمنا ولم يبخل علينا بشيء، رغم استغلاله لنا كان عطوفاً بعض الشيء أو هكذا رأيناها مقارنة بالشوارع التي كنا نتسول بها، لن أذكر الذل والاهانات التي لحقت بالعديد منا فمن المؤكد أنك تملك فكرة عن شوارع مدينتنا التي كنا نهرب منها عند المغيب لنختبئ بين جدران ظننا أنها آمان لنا.

الطبيب: ذل وقسوة، آمان زائف واحتواء لمصلحة فلم تكونوا سوى أداة لزيادة ثروته وجشعه.

حنين: هذا ما عرفناه عندما تفتحت أعيننا على الحياة وبدأنا نراها بشكلها الصحيح، حينها بدأ التمرد وهرب بعض الفتية من قبضة سالم بينما بقي البعض مقيدون بما أعتاد فعله معهم فقد وجدوا اللذة أو لنقول اعتادوا عليه ولم يستطيعوا الخروج من تحت سيطرته

الطبيب: لماذا لم تهربي كرفاك

حنين: لم أستطع الهرب وتركهن تحت رحمته، ولم أعرف إلى أين التجأ لو هربت واخذتهم معي

الطبيب: من هُنُ

حنين: ثلاثة فتيات أكبرهن في الثالثة عشر من عمرها والأخريات يصغرنها سنة أو سنتين، كان يهددني بهن، حاول الإعتداء عليهن عدة مرات لكنني استطعت بعون الله منعه، حينها بدأت أخذهن معي إلى عملي الجديد في إحدى رياض الأطفال حيث عملت مراقبة لبضعة أطفال هناك كما كنت أنظف المكان بعد مغادرة الجميع لكن اصطحابهن معي كاد يفقدني عملي واضطرت حينها لجعلهن ينتظرنني في حديقة عامة لحين انتهاء عملي فاعودوا ياهن وانا أحمل بقلبي خوف جديد وقوة أكبر لمقاومة ما قد ينتظرني في ذاك المنزل القذر، أستمر الوضع على ما هو عليه حتى أتى يوم وقابلت أحمد من جديد

الطبيب: قابلته من جديد وهل كنت تعرفينه قبلاً ؟

حنين: أحمد هو صديق طفولتي ورفيق وحدتي، الشخص الوحيد الذي تكلمت معه، سندي الوحيد في كل ما مررت به، تقابلنا في معمل الأحذية الذي عملت به، أذكر حين قابلته عند بوابة المصنع ، كنت أقف مترددة، خائفة من رفضهم تشغيلي يوماً أمسك بيدي وادخلني لمكتب المدير وتم توظيفي بالحال، لا أدري كيف قُبلت بتلك السرعة و كيف

بقي، اعتدت على وجوده بجانبى أكثر من ذي قبل، كان يعلمني كل شيء برحابة صدر ولم يمنعه أحد لدرجة ظننت أنه ابن صاحب المصنع
الطبيب: أعتقد بأن علاقتك قطعت به حين تعرضت لذلك الحادث الأليم

حينئذ: حينها فقدت عملي فقط لكنه قام بزيارتي في المستشفى ولم يغادر حتى أطمئن علي، ثم تتبع أثري حتى استطاع الوصول إلى تلك المنطقة النائبة التي اختارها بابا عبده بعد أن أخرجنا من تلك المنطقة الصحراوية البشعة، سمعت صوته وهو يسأل سالم عني كان صوته كقطرات مطر صيفية، ارتوت روحي بسماعه ورف قلبي مغرداً كعصفور أطلق جناحيه في سماء الحرية، سبق قلبي قدماي لملاقاته لكن سالم طرده شر طردة، لم استطع اللحاق به بسبب إصابتي لكن روحي سُحبت مني تتبع خطاه، كنت أراه يراقب المنزل من بعيد، ينتظر خروجي كمغترب ينتظر تأشيرة الدخول لوطنه، وعندما تحسن حالي بدأنا نلتقي في شوارع المدينة المزدهمة أو إحدى الحدائق العامة، كان يحب أن يكتب أسامينا على جذوع الأشجار ويفرح حين

أطلب منه أن يؤرجحني، كان ضحكتي المخبأة وسعادتي
التي لم أجروء على إعلانها؟
كبرت ولا صديق لي إياه، لكن للأسف حين الصداقة تتحول
لحب، يفقد كل شيء معناه وتتراخي الأيدي
الطبيب: ماذا حدث للفتيات، هل تركتهن
حنين: لقد أتصلت وأبلغت الشرطة عن مكان تواجدهن وعن
كل ما يحدث في ذاك المنزل، ابلغت عن سالم وما فعله لكن
النجس علم بما فعلته فنظف المكان وأخذ الفتيات لمكان آخر،
ولم أجد نفسي إلا وأنا تحت قبضته أجبرني على الزواج منه
مقابل تسليم الفتيات لدور ايتام وتم الأمر وأنا في الثامنة
عشر من عمري، جُن جنون أحمد حين علم بما حدث غادر
المقهى الذي كنا نتقابل به دون أن ينطق بحرف، خاب ظنه
بي ولأول مرة لم يستطع سماع حديثي، شُقت روعي نصفين
وأنا أراه مغادراً دون أن يعرف أسباب زواجي دون أن يرى
أثار التعذيب على وجهي، رمقني بنظرة لم أنسى قسوتها
وغادر، ظننت حينها بأنه تخلى عني كلياً لكنني كنت أجده
في كل مرة أتعرض بها لمأزق ما، كان يظهر من العدم
ليخفف عني ويختفي من جديد، كان تعلقني به يزيد وفي كل

مرة يأتي بها كنت أرجوه البقاء لكنه كنسمة عابرة يأتي ليثلج
صدري ويصبر روحي ويختفي خلف التلال
أما سالم كان باقياً كنصل سكين بين اضلعي لا استطيع ابقاءه
ولا أقوى على انتزاعه

الطبيب: لماذا لم ترفعي قضية طلاق أو تبليغي عن ضربه
لك فيتم خلعه عنك

حنين: حاولت قبل أن تأتي ياسمين إلى الحياة لكني فشلت
بسبب علاقاته الواسعة ، لقد كانت محاولاتي فاشلة محملة
بالعذاب فكلما حاولت الابتعاد كان يأتيني كقط في موسم
التزاوج لا يفكر سوى بغريزته الحيوانية، كان يضربني
ضرباً مبرحاً ويُقيدني بقيود تدمي جسدي باغتصاب شنيع،
في البداية كان يستسمع بصراخي ويمتلئ صدره بنشوة
الرجولة الكاذبة لكن وبعد قدوم ياسمين لم أعد اصرخ، لم
يعد للألم مكان في جسدي كنت أدعه يفعل فعلته ويغادر، كل
ما كنت أخشاه أن تسمع ياسمين صراخي لم أشاء أن ترى
أمها ضعيفة ذليلة بهذا الشكل، حاولت حمايتها بكل ما أوتيت
من حياة.

الطبيب: هي من جعلتك تستمرين معه

حنين: لم أرد لها حياة كالتي عشتها دون أم لقد كان يهددني
بأخذها مني، خشيت فقدانها وأنا التي حملت بها رغماً عني
لقد اجهضت نفسي مراراً وتكراراً لم أرد أطفال منه لكنه
سرعان ما أكتشف الأمر وحين حملت بياسمين قام بحبسي
داخل غرفة ووضع ممرضه تشرف على حالتي حتى موعد
ولادتي بها في ديسمبر كانت السماء تمطر بغزارة شعرت
بأن الغيوم تبكي وتبكيها نظرت لوجهها فنسيت كل ألم مر
بي، شعرت بأن الحياة تهمني سبباً للاستمرار بها، كانت
بيضاء مشرقة جميلة كانعكاس القمر رائحتها زكية كرائحة
الصباح

الطبيب: أنت من أسميتها ياسمين

حنين: كان الأمر أشبه بالحلم فتحت عيني بعد الولادة لأجد
أحمد يقف بجانبني قال لي مبارك يا حنين الروح لقد أتت
ياسمين التي حلمنا بها، أختار الاسم وغادر كعادته، لم أراه
إلا وأنا بأشد الحاجة له كان يخرج من السراب عند كل
مشكلة تواجهني فافض له ما بصدري من عذاب ليحمله معه
مغادراً

الطبيب: بقيت الصداقة مستمرة رغم ما تكناه لبعضكما من
حب

حنين: نعم استمرت ولكن بعد وفاة سالم ارادني زوجة له
فرفضت خوفاً على زوجته و ولده، كان رفضي له بمثابة
موت على قيد الحياة غادر البلاد وانا عملت بكل أوتيت من
قوة حتى استطعت شراء بيت و إدخار بعض المال من أجل
ياسمينتي

الطبيب: هناك سؤال يشغل بالي و أود لو تجيبيني عليه
حنين: لم يعد هناك ما أخفيه فاسأل ما شئت
الطبيب: قالت لي ياسمين بأنك نعتها بالموبوءة بدمه فهل لي
معرفة السبب

حنين: سالم عاش نجساً ومات نجساً مريضاً بالإيدز بسبب
ممارساته الشاذة، كنت أتمنى لو لم تحمل دمه ولم تكن أبنته
الطبيب: هل نقل العدوى لك أم ؟

حنين: لا تكمل نحن سليمتان رغم محاولاته المستميتة لنقل
المرض لنا، أراد لنا الموت معه لكنني اكتشفت أمره وقمت
بإبلاغ الصحة عنه ليقوموا بحجرة داخل مركز خاص
بمعالجة المرض وإبعاده عن الأصحاء.

تهدت بعمق وقد أفرغت ما بجعبتها من معاناة بينما وقف
الطبيب مستأذنا وقبل أن يغادر سألتها: من أين حصلت على
هذا الصندوق

حنين: إنه صناعة يدوية لقد قُمت برسمه وطلبت من أحد الحرفيين صنعه لي كما قمت برسم القفل والمفتاح بالشكل الذي أذكره.

الطبيب: لماذا لم تشتري واحداً عوضاً عن هذا العذاب حنين: لأن الذي في الأسواق لا يشبه صندوق أمي؟

الطبيب: هل لديك صورة لأحمد

حنين: لدي صورة وحيدة احتفظ بها في جوالي مع ملفات الدردشة الخاصة بنا

الطبيب: هل لي برؤيته

ترددت قليلاً ثم دكت يدها داخل الحقيبة، أخرجته فتحت القفل نظرت مطولاً إليه وبيد مرتجفة أعطته إياه

أخذه و تأمل طويلاً بالصورة لم يتوقع بأن يكون هو من أخذ مكانها وعاش حياته وحيداً من غير إخوة، لم يخطر بباله بأن

ياسمين هو إسم والدته أيضاً، وأحمد والده ووالدها عاد بذاكرته لتلك البلاد الغربية عليهما ومسقط رأسه بعد سنوات

من هروبهما، تذكر حين قالت له أمه عُد لأصلاك فجزر من جذورك هناك لم يفهم قصدها حين قالت له كانت تحلم بأخ

يحمل إسم والدها، وقفت شكوكه على قدم وساق ليهز كيان

قلبه وعقله، لكنه لن يقوى على الإعراف، وقبل ان يعيد
جوالها سألها هل لي أن أرى آخر محادثة بينكما
حنين: إضغط على زر التراجع لتظهر لك الدردشة
فعل ما طلبته وقلبه كمن تصعقه الكهرباء يرتجف بين
أضلعه لكنه يتصنع الثبات و بصوت مسموع يقرأ
إليك ...

أما بعد

ها أنا أقف على حافة الشوق يداي خاوية وعينا ي جافتان
كغيمة صيفية في سماء صحراء قاحلة، أثور على حنيني
إليك أمسك جمره بكفي فهل تطفى النار ناراً وهل يجف نبع
الحنين

أراك صورة مصدعة الإطار مغبشة الزجاج ولا جدار خال
لاعلقها عليه، جميع جدرانى مُمتلئة بذكريات ماعادت تعنيك
فكيف أعلق صورتك القديمة بين عناوين حياتي التي
اعتبرتها هوامش، قل لي كيف أفرغ لك مكان وأنت المكان
والزمان الذي غدى نار تُجلجل أركانى، فاض زمني بغيبتك
وامتلاً الجُب بما لا يروق لك شربه والآن لم ابقى ولم تبقى

سوى صورة مُغبشة ضائعة الملامح منسية فوق دفات
الآهات مدفونة أسفل جدار الذكريات حيث لا تراني ولا
أراك!

أغلق الجوال وأعاده إليها موجه سؤاله الأخير
هذه آخر رسالة كتبتها له

حنين: هذه آخر رسائل الوهم الذي رسمته طوال حياتي،
آخر ملامح الضياع الجميل، أنها صحوة العقل و غفوته.
الطبيب: إذا لقد اكتشفتي بأنه لا وجود لأحمد وأنه مجرد
صورة مصغرة لوجه والدك الذي تخطى عنك
حنين: قبل خمس سنوات مضت أفقت من وهمي ولا زلت
راغبة باستمراره إلى الأبد!

تم بحمد الله